دوافع القتل والإبانة بين الحاجة وتدابير السياسة (١ـ١٣٢هـ/ ٦٢٢ـ٧٤٩م) دراسة تاريخية.

د/ محمد عبد اللطيف عبد الخالق المراكبي.

تخصص التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: mohamedalmarakeby.2034@azhar.edu.eg

الملخص:

يدور الحديث في هذا البحث حول قضية من أهم القضايا التاريخية ألا وهى دوافع القتل والإبانة بين الحاجة وتدابير السياسة التي ظهرت في أغلب الأحوال خلال مراحل الخلاف السياسي والصراع العسكري، وما ترتب عليهما من قتل وتشريد، ولذا ترجع أهمية الموضوع إلى أن البحث حاول معالجة تلك القضية عن طريق ذكر الأسباب المختلفة للقتل والإبانة، ودور المال والعطايا في هذا الأمر، والآثار المترتبة علي ذلك، وإذا كانت الحضارات والثقافات السابقة على الإسلام قد مارست القتل والإبانة تحت علل مختلفة، إلا أنه بعد تحليل الروايات وتتبع النصوص واستسقاء المعلومات من مصادرها وجدنا حدوث بعض التجاوزات من بعض القادة الذين يتسمون بالغلظة وقد فرضتها عليهم ظروف الحرب والسياسة، وعلى الرغم من ذلك فقد كان هناك جانب مهمُ في هذا الأمر وهو إدخال الرعب في نفوس من حارب المسلمين وحاول القضاء عليهم، وإثارة الخوف والهلع لديهم، وإبراز قوة الدولة الإسلامية في مرحلة مهمة من تاريخها، والحقيقة التي توصل لها الباحث أن موضوع قتل الأعداء وتوابعه من الإبانة لم يكن خاصا بالمسلمين، ولم يصل أبداً إلى حد الظاهرة الإجرامية كما يحاول أن يصوره البعض، وأن ما حدث من انتهاكات وممارسات لم تكن طابعا غالبا لديهم، وإنما فرضتها الظروف التاريخية المختلفة.

الكلمات المفتاحية: دوافع، القتل والإبانة، الأعطيات والمنح، الآثار والنتائج.

Motives for killing and murder between need and policy measures (1 -132 AH / 622- 749 CE) Historical study

Mohammed Abd allatif Abd alKhaleq Al Mrakby
Specialization in History and Islamic Civilization - Faculty of Arabic Language - Itay al Barud- Azhar University-Egypt
E- Mail : mohamedalmarakeby.2034@azhar.edu.eg

Abstract:

The discussion in this research revolves around one of the most important historical issues, namely the motives for killing and murder between need and policy measures that appeared in most cases during the stages of political dispute and military conflict and the resulting killing and displacement. Therefore, the importance of the topic is due to the fact that the research tried to address this issue by mentioning the different reasons for killing and murder, The role of money and gifts in this matter, and the implications of that, and if civilizations and cultures prior to Islam had practiced killing and murder under various reasons, However, after analyzing the narrations, tracking the texts, and drawing information from their sources, we found that some transgressions occurred from some leaders who were harsh, Cruelty was imposed on them by the conditions of war and politics, and despite that, there was an important aspect in this matter, which was to strike terror into the hearts of those who fought Muslims and tried to eliminate them, and to stir up fear and panic among them, and to highlight the strength of the Islamic State at an important stage in its history, and the truth that it reached. The researcher believes that the subject of killing enemies and its consequences was not specific to Muslims, and it never reached the level of a criminal phenomenon as some try to portray it, and that the violations and practices that occurred were not a common feature among them, but were imposed by different historical circumstances.

Keywords: motives, killing and murder, donations and grants, effects and results.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛

إن أحداث التاريخ بصفة عامة يجري عليها الصواب والخطأ، فهو ليس رواية نشكلها كما نريد!! بل من موضوعية وصدق التاريخ أن نذكر الحق ولا نجامل فيه، لأنه لو لم يوجد الصواب والخطأ لما استحق أن يكون موضع اعتبار للناس، وإذا أراد الإنسان لحاضره ومستقبله أن يكون مشرقا فلا بد له أن ينهل من ماضيه وماضي من سبقه من الأمم السابقة؛ لأنه هو السبيل والمرآة التي نتعرف من خلالها على هوية الناس وثقافتهم وعاداتهم وسياستهم، ولذا ينبغي أن نفتح أعيننا على تاريخنا؛ لأننا إذا تغافلنا عن ماضينا فإننا لن نتعلم، وسنقع حتما في أخطاء من سبقونا، ولذا علينا أن ننظر إلى الماضي لنأخذ الحذر إلى جانب الدروس والعبر.

أهمية الموضوع

يدور هذا البحث حول قضية من أهم القضايا التاريخية ألا وهى قضية القتل وما يتبعه من إبانة[1] للرؤوس، ولما كان موضوع هذا البحث من الموضوعات المهمة التي مورست تحت علل متعددة، ولم تتعرض له الدراسات المختلفة، فقد رأيت أن أتناوله في هذا البحث

(١) تم استعارة المصطلح من كتب اللغة والفقه، وهو هنا بمعنى القطع، أو الفصل، كما ذكر ابن منظور فقال: أن الإبانة تأتي أيضا بمعنى القطع، وذكر أنها بمعنى فصل أجزاء الجرم من بعض، وتحدث الزبيدي فقال: بان الشيء بينًا، وبيونا وبينونة انقطع عنه؛ وأبانه غيره إبانة: أي قطعه، وقطع الشيء يعنى إبانه(ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري (ت ٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ، ج٨، ص٢٧٦، الزبيدي: السيد محمد مرتضي الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ /١٧٩٠م).تاج العروس من جواهر القاموس"، تحقيق: على هلالي، مطبعة حكومة الكويت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ج٣٤، ص٢٩٦)

المتواضع الذي جاء بعنوان (دوافع القتل والإبانة بين الحاجة وتدابير السياسة(١٣٢.١هـ/ ٧٤٩.٦٢٢م)دراسة تاريخية، ولذا ترجع أهمية الموضوع إلى أن البحث حاول معالجة القضية عن طريق ذكر الأسباب المختلفة، ودور المال والعطايا في هذا الأمر، والآثار المترتبة عليه، كما هدف البحث إلى الحديث حول قضيةٍ أحجم الكثير من المؤرخين والباحثين عن الحديث حولها، خاصة وأن الملاحظ أن هناك اختلافا بين النظرية الإسلامية والواقع التطبيقي، وذلك نظرا للمطاحنات والخلافات السياسية والتشفي والانتقام الذي حدث بين المسلمين وغيرهم، والمسلمين بعضهم بعضًا.

وقد مثل قتل الأعداء والمعتدين مرحلة من مراحل العنف التي حدثت داخل الدولة الإسلامية، بل إنه استعمل في أحيان كرمز من رموز انتصار الدولة على خصومها، بالإضافة إلى تخويف اتباعها وفرض السيطرة والسطوة على المخالفين لها، وعلى الرغم من ذلك فقد كان هناك جانب مهمُ في هذا الأمر وهو إدخال الرعب في نفوس من حارب المسلمين، وإثارة الخوف والهلع لديهم، وإبراز قوة الدولة الإسلامية في مرحلة مهمة من تاريخها.

الدراسات القريبة:

لم أعثر– على حد علمي– على دراسة قريبة إلا على هذا العنوان وهو(ظاهرة قطع الرؤوس والصلب في الدولة العربية الإسلامية) للباحثة: بثينة عادل عمران، وهذا البحث نشر في عام ٢٠٢١م، في جامعة بابل، كلية التربية للعلوم الإنسانية، مجلة العلوم الإنسانية، وهذا البحث لا يتجاوز متنه تسع صفحات إلى جانب الهوامش والمصادر والمراجع، تحدثت الباحثة فيه عن مقتطفات يسيرة للغاية عن ظاهرة قطع الرؤوس من وجهة نظرها في عصر الرسول والخلفاء الراشدين والدولة الأموية، والدولة العباسية، وأعادت الأمر نفسه بالنسبة للصلب، وبذلك فقد اختلف موضوع بحثها عمًا عرضته من دراسة وتحليل ونقد للروايات، وتحدثتُ عن الأسباب، والعطاء ودوره، وكذلك حفظ الرؤوس، والآثار التي ترتبت على ذلك، ولم تعرض له الباحثة أيضًا، وبذلك يستطيع أن يطمئن القارئ إلى الاختلاف الجوهري بين ما عرضته و ما تحدث عنه البحث السابق، وهذا كان دافعا لي لمعالجة هذا الموضوع.

كما دفعني للكتابة حول هذا الموضوع عدة أسباب أخرى منها:

أولا: السعي من خلال هذا البحث إلى تسليط الضوء على أسباب وآثار قتل الأعداء وتوابعه، وإماطة اللثام عن كثير من الحقائق التي لا تزال غامضة في هذا الشأن.

ثانيا: أن هذا الموضوع يعد من الدراسات النادرة والتي تستحق البحث في أمهات المصادر بعدما عزف عنها الكثير من الباحثين، نظرا لشدتها في تاريخنا الإسلامي.

ثالثًا: محاولة بناء مستقبل يعتمد على الحقيقة؛ لأنها هي الهدف الرئيس للبحث التاريخي فلا شيء أقوى من الحقيقة، كما أننا لا نستطيع إعادة بناء ذاكرة تاريخية إلا بالبحث والتسليم بتلك الحقائق واعتبار الماضي بحسناته الكثيرة وسيئاته القليلة ملكًا للأمة.

رابعًا: الإسهام في محاربة أفكار الجماعات المتطرفة التي تبنت ثقافة القتل وإبانة الرؤوس، وجعلته مطلبًا ووسيلة في الوقت نفسه، واتخذت من وقائع القتل في تاريخنا الإسلامي وخاصة في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين سندا شرعيًا دون النظر لسياقها التاريخي وضروراتها الشرعية والسياسية والأمنية.

إن المطالع لهذا البحث سوف يلاحظ أن الإشكالية التي يدور حولها البحث ويسعى للإجابة عليها أن أمر القتل والإبانة لم يكن سياسةً ثابتةً، ولا ظاهرة إجرامية للدولة الإسلامية طوال فترة البحث، وإنما هي الدوافع والحاجة وتدابير السياسة، وإلى أي حد سلك المسلمون هذا المسلك، وهل استفادوا منه أم أضر بهم.

منهجية البحث.

تقوم منهجية البحث على المنهج التحليلي، والنقدي أحياناً وتتبع النصوص واستسقاء المعلومات من مصادرها الأصلية ومن غيرها من المصادر ذات الصلة بالموضوع، وقد توخيت فيها الدقة وتحرى الصدق والحقيقة لمحاولة الوصول إلى المعلومات الأقرب إلى الصواب والمنطق.

خطة البحث:

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وثبتٍ بالمصادر والمراجع؛ أما المقدمة: فتناولت فيها أهمية البحث، والدراسات القريبة، والغايات التي دفعتني للكتابة حوله، وإشكالية ومنهج البحث، في حين أفردت التمهيد للحديث عن مسالة التأصيل الشرعي لإبانة الرؤوس وحملها، ثم عقبت على ذلك بذكر المباحث المختلفة

وهي كالتالي:

المبحث الأول: وجاء بعنوان الدوافع المؤدية إلى القتل والإبانة، وتضمن هذا المبحث عناصر مختلفة من تخويف الأعداء، والمصلحة العامة والخاصة، والخلافات السياسية والخروج على الطاعة، والتشفي من المقتولين، وجاء المبحث الثاني: تحت عنوان الأعطيات ودورها في القتل والإبانة، وتضمن: العطايا لمبيني الرؤوس وحامليها، ورفض العطايا ومنعها، والمبحث الثالث: بعنوان نصب الرؤوس وحفظها، وتحدثت فيه عن نصب الرأس وحراستها، وإصلاح الرأس وحفظها، والمبحث الرابع جاء بعنوان: الآثار المترتبة على القتل والإبانة، وتحدثت فيه عن الآثار السياسية وما احتوته، والآثار الاجتماعية وما اشتملت عليه، وتلي ذلك خاتمة بها أبرز النتائج، ثم ثبتُ بالمصادر والمراجع.

والله ولي التوفيق، وهو المستعان، وعليه التكلان.

الباحث

التمهيد: التأصيل الشرعي لإبانة الرؤوس وحملها:

إذا نظرنا إلى عهد رسول الله ﷺ لنناقش مسألة إبانة الرؤوس وحملها فإننا سنجد اختلافا في الروايات التي تناولت هذا الأمر:

فبعض العلماء استنكر وكره هذا الأمر واستدلوا بما نقل عن الزهري أنه قال: لم يحمل إلى رسول الله ﷺ ، يوم بدر ولا غيره رأس مشرك(١)، ولقد حمل إلى أبي بكر رضي الله عنه، رؤوس مشركين كثيرة، فأنكر ذلك وقال: (لم تحمل جيفهم إلى مدينة رسول الله، ﷺ) وروي: (عن عقبة بن عامر، أن عمرو بن العاص، وشرحبيل ابن حسنة، بعثاه بريدا برأس يناق البطريق إلى أبي بكر الصديق، فلما قدم على أبي بكر بالرأس أنكره فقال: يا خليفة رسول الله ﷺ ، إنهم يفعلون ذلك بنا، قال: «أفأستان بفارس والروم؟ لا يحملن إلي رأس، فإنما يكفيني الكتاب، والخبر»[٢] وحمل إلى علي رضي الله عنه، رؤوس المشركين، ففزع من ذلك وقال: (ما كان يصنع هذا في عهد رسول الله، ﷺ ولا في عهد أبي بكر، ولا في عهد عمر)(٣).

---

(١) البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، (المتوفى: ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م): السنن الكبرى: كتاب السير، باب ما جاء في نقل الرؤوس، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م، ج٩، ص٢٢٣.؛ ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م): التلخيص الحبير: تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، مؤسسة قرطبة، مصر، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ج٤، ص٢٠٠

(٢) النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (ت: ٣٠٣هـ/ ٩١٥م): السنن الكبرى: كتاب السير، باب: حمل الرؤوس، تحقيق وتخريج: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١، ١٤٢١ هـ -٢٠٠١ م، ج٨، ص٥١.

(٣) العمراني: أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (ت: ٥٥٨هـ/١١٦٣م) البيان في مذهب الإمام الشافعي: تحقيق: قاسم محمد النوري، دار المنهاج، جدة، ط١، ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠ م، ج١٢، ١٥٥ـ ١٥٦.

فمن ظاهر تلك الأحاديث قال بعض العلماء: لا يحل حمل الرؤوس إلى الولاة لأنها جيفة، فالسبيل دفنها لإماطة الأذى، ولأن إبانة الرأس مُثلة، وقد نهى رسول الله ﷺ عنها، فعن قتادة ﷺ قال: "بلغنا أن النبي ﷺ كان يحث على الصدقة وينهى عن المثلة"(١) ولأن هذا الأمر من فعل الجاهلية الأولى، وقد نهينا عن التشبه بصفاتهم المذمومة(٢).

وعلى الجانب الآخر نجد البعض يقر بحمل الرؤوس، ويجيز هذا الأمر ويستدل بأن رسول الله حملت إليه الرؤوس، ومنها رأس أبي جهل، فعن عبد الله بن أبي أوفى: أن رسول الله ﷺ صلى يوم بُشر برأس أبي جهل ركعتين(٣) وعن عبد الله بن مسعود، قال: أتيت النبي ﷺ برأس أبي جهل، فقلت: هذا رأس أبي جهل، قال: «الله الذي لا إله غيره؟» وهكذا كانت يمينه، فقلت: والله الذي لا إله غيره، إن هذا رأس أبي جهل، فقال: «هذا فرعون هذه الأمة»(٤).

وبذلك أجاز البعض إبانة الرأس ونقلها نكالا من بلد إلى بلد ليقف الناس على النكال

---

(١) البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه = صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قصة عكل وعرينة، حديث رقم ٣٩٥٦، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م، ج٤، ص١٥٣٥.

(٢) السرخسي: محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت: ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م): شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني، تحقيق: محمد حسن محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م، ج١، ص٧٩.

(٣) ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ/٨٨٦م): سنن ابن ماجة، باب ما جاء في الصلاة والسجدة عند الشكر، حديث رقم ١٣٩١، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، بيروت ط١، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م، ج٢، ص٤٠١؛ علق عليه الأرناؤوط فقال: إسناده ضعيف.

(٤) الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم (ت/٣٦٠هـ/ ٩٧١م): المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، العراق، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م، ج٩، ص٨٤.

الذي نزل بهم، ومن هذا الجنس قوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [النور: ٢] وقوله تعالى في آية المحاربين: ﴿ يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ [المائدة: ٣٣] ليشتهر في الناس أمرهم وإنكار أبي بكر على عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة حين بعثا رأسا إليه اجتهاد منه لما ظهر له من الاستغناء عنه ألا ترى أن أمراء الأجناد منهم يزيد بن أبي سفيان وعقبة بن عامر بحضرة من كان معهم لم ينكروا ذلك لما رأوا فيه من إعزاز دين الله وغلبة أهله على الكفار، فالمرجع في ذلك إلى آراء الأئمة يفعلون من ذلك ما يرونه صوابا مناسبا لوقتهم ويتركونه إذا استغنوا عنه(١).

وخلاصة القول: إن إبانة وحمل الرؤوس أمراً ليس معهودًا في زمن الرسولﷺ ولا خلفائه الراشدين والإجماع متحقق على كراهية إبانة وحمل رؤوس من قتل من الكفار إذا كان لغير حاجة أو لغير المعاملة بالمثل(٢).

أما إذا كان في ذلك كبت وغيظ للمشركين أو فراغ قلب للمسلمين بأن كان المقتول من قواد المشركين أو عظماء المبارزين فلا بأس بذلك، وهو نوع من الجهاد الذي يستحق الجائزة عليه(٣).

المبحث الأول: الدوافع المؤدية إلى القتل والإبانة.

بادئ ذي بدء ينبغي القول: إن مسالة القتل والإبانة ممارسة قديمة عرفتها البشرية بمختلف أجناسها وثقافتها، وكان من عادة الأعاجم إذا انتصروا على عدو استباحوا كل شيء، ومن جملة ما استباحوه إبانة رؤوس البشر، ولهذا كانت تحدث مجزرة تبان فيها

(١) أبو المحاسن يوسف الملطي: يوسف بن موسى بن محمد، أبو المحاسن جمال الدين المَلَطي الحنفي (ت: ٨٠٣هـ/ ١٤٠١م) المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة، مكتبة سعد الدين دمشق، د.ط، ١٣٦٣هـ، ج، ص٢٤٥.

(٢) أسامة بن سعيد القحطاني وآخرون: موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ -٢٠١٢ م، ج٦، ص١٠٥.

(٣) السرخسي: شرح السير الكبير ج٢، ص٢٠٢.

رؤوس الأعداء عقب المعركة، فكانوا يحملونها إلى ملوكهم كبشائر للنصر وإعلان للفخر(١)، لكن المسلمين كانت لهم أسباب إزاء هذا الفعل منها.

١ـ تخويف الأعداء

لقد كان من أسباب القتل والإبانة تخويف الأعداء وهذا ما حدث من المسلمين في أثناء غزوة الخندق من السنة الخامسة للهجرة أن النبيﷺ أدخل النساء يوم الأحزاب حصنا من حصون المدينة وكان حسان بن ثابت شاعر الرسول رجلا جوادا فأدخله مع النساء وأغلق الباب، فجاء يهودي فقعد على باب الحصن فقالت صفية بنت عبد المطلب: انزل يا حسان إلى هذا فاقتله فقال: ما كنت لأجعل نفسي خطرا لهذا العلج(٢) فائتزرت بكساء وأخذت سيفا فضربت رأسه حتى قطعته، فقلت له: خذ بأذنيه فارم به عليهم، فقال: والله ما ذلك لي، فأخذت برأسه فرميت به عليهم، فتبددت قواهم وهم يقولون: قد علمنا أن محمداً لم يكن ليترك أهله خلوفاً ليس معهن أحد(٣).

يلاحظ في البداية أن الواقدي ذكر هذا الأمر عند الحديث عن غزوة أحد، إلا أنني أميل مع من قال أنها في غزوة الخندق من أمثال الطبري والحاكم(٤)، والدليل أن اليهود لم يكن

---

(١) وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت (ت: ١٩٨١م) قصة الحضارة، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت –لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨ هـ –١٩٨٨م، ج٢، ص٢٧٠ ـ ٢٧٤.

(٢) قد يتبادر إلى الذهن أن هذا الأمر جبنُ من حسان بن ثابت رضي الله عنه لدرجة أن بعضهم ضعف هذا الحديث الذي رواه الطبراني في المعجم الكبير.

(٣) الواقدي: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، (ت: ٢٠٧هـ/ ٨٢٣م): المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ج١، ص ٢٨٨؛ الطبراني: المعجم الكبير، ج٢٤، ص٣٢١.

(٤) الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت: ٣١٠هـ / ٩٢٢م) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ـ مصر، ط٤، د. ت، ج٢، ص٥٧٨؛ الحاكم: محمد بن عبد الله النيسابوري(ت:٤٠٥هـ/ ١٠١٤م) المستدرك على الصحيح، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٤١١هـ–=

لهم شأن بالحرب الدائرة بين المسلمين وقريش أثناء غزوة أحد، ولكن الخيانة جاءت أثناء حصار الأحزاب للمسلمين فطبيعة الأحداث تتماشى أن هذا حدث في غزوة الخندق، لأن اليهود قطعوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ.

وهنا نريد أن نوضح أن الصحابي حسان بن ثابت رضي الله عنه لم يكن جباناً؛ بل كان شجاعا، لم يتهمه أحد من الشعراء بالجبن مع أنه كان شديد الهجاء لأعداء الإسلام، إلا أن هناك علة منعته من وجوده مع المسلمين ألا وهي قطع في أكحله[1] هذه العلة منعته من قتل اليهودي، ومن رمي رأسه من الحصن[2].

الشاهد أن السيدة صفية رضى الله عنها حققت المراد وهو تخويف أهل الكفر، وبث الرعب والهلع في قلوبهم، وعدم معرفتهم بعورات المسلمين وقت الحرب، فلم يجرؤ أحد من اليهود على الاقتراب من الحصن ظنا منهم وجود قوة من رجال المسلمين لحمايتهم، وبذلك ثبتت أهمية القتل والإبانة لتخويف الأعداء وإلقاء الرعب في نفوسهم، وحماية نساء المسلمين من جانب آخر.

كما كان للقتل والإبانة أثر كبير ومهم في القضاء على أحد مدعي النبوة وهو الأسود العنسي[3] وتخويف أتباعه، فبعد ظهور أمره وردته، وجه رسول الله ﷺ قيس بن هبيرة

=١٩٩٠م، ج٤، ص٥٦.

(١) عرق في وسط الذراع يكثر فيه الدم (ابن منظور: لسان العرب، مادة كحل، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ، ج١١، ص٥٨٦).

(٢) الأصفهاني: أبو الفرج على بن الحسين (ت: ٣٥٦هـ/٩٦٧م)الأغاني، دار الفكر، بيروت، ط:٢، د.ت، ج٤، ص١٧١؛ مهدي رزق الله أحمد: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة تحليلية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص٣٩٢.

(٣) يدعى عبهلة بن كعب بن عوف العنسيّ، كان كاهنا مشعوذاً، من أهل اليمن، أسلم حين أسلمت اليمن، وارتد في أيام النبي ﷺ وادعى النبوة، واستطاع إغواء الناس بحلاوة منطقه، ودع قومه إليه فأجابوه ووعدوه، وجاء كتاب رسول الله ﷺ إلى من بقي على الإسلام في اليمن، بالتحريض على قتله، فتم اغتياله سنة١١هـ على يد تلك الثلة المباركة من من بقى على=

المكشوح[1] لقتاله، وأمره باستمالة أبناء الفرس باليمن وبعث معه فروة بن مسيك المرادي[2]، فلما صار إلى اليمن بلغتهما وفاة رسول الله ﷺ، فأظهر قيس للأسود العنسي أنه ارتد عن الإسلام، وأنه تابع له حتى يستطيع دخول صنعاء، فدخلها في جماعة ثم استمال فيروز بن

=إسلامه من أهل اليمن(ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) البداية والنهاية، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ج٩، ص٤٢٩، الزركلي: خيرالدين بن محمود بن محمد بن على بن فارس الدمشقي (ت ١٣٩٦/١٩٧٦م) الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢ م، ج٥، ص١١١).

(١) قيس بن هبيرة المكشوح، وسمي أبوه المكشوح، لأنه كوي بالنار على كشحه أي جنبه، له صحبة بلقاء النبيﷺ، وهو أحد الصحابة الذين شاركوا في قتل مدعي النبوة الأسود العنسي، وله ذكر في فتوحات المسلمين في زمن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وشهد فتح نهاوند مع النعمان بن مقرن سنة٢١هـ، قتل في موقعة صفين٣٧هـ بجانب على بن أبي طالب رضي الله عنه(ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ج٣، ص١٢٩٩- ١٣٠١، ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م) تاريخ دمشق: تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عام النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ج٤٩، ص٤٨١).

(٢) فروة بن مسيك المرادي قدم على النبيﷺ في سنة ١٠هـ/٦٣١م ، فأسلم، فبعثه على مراد، وزبير، ومذحج، وحارب أهل الردة، وانتقل إلى الكوفة زمن عمر رضي الله عنه(أبو نعيم: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ/١٠٣٨م) معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ج٤، ص٢٢٨٧؛ الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت،١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م ، ج٢٤، ص٧)

الديلمي[١]، وكان فيروز قد أسلم، ثم أتيا زعماء الأبناء من أهل فارس، وقد أسلم الكثير منهم، فاتفقوا جميعا على قتل الأسود واغتياله، ودسوا إلى امرأته من أعلمها الذي هم عليه وكانت كارهة له فدلتهم على مكان يدخلون إليه منه فدخلوا عليه وقت السحر وهو سكران نائم بفعل امرأته، فذبحه قيس بن هبيرة ذبحا فجعل يخور خوار الثور حتى أفزع ذلك حرسه، فقالوا: ما شأن رحمان اليمن ـ اللقب الذي أطلق عليه ـ فظهرت امرأته فقالت: إن الوحي ينزل عليه، فسكنوا وأمسكوا، واحتز قيس رأسه، ثم علا سور المدينة حين أصبح فقال: الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأن الأسود كذاب عدو الله، فاجتمع أصحاب الأسود لأخذ من قتلوه، فألقى إليهم رأسه، فتفرقوا وهربوا إلا قليلا، وخرج أصحاب قيس، ففتحوا الباب ووضعوا السيف في بقية أصحاب العنسي، فلم ينج إلا من أسلم منهم، وبذلك تحقق الهدف من قتل وإبانة رأس مدعي النبوة وهو تفرق الأتباع عنه وإخافتهم وإراحة المسلمين من شره وشر أتباعه[٢].

وبذلك حقق القتل والإبانة الهدف المرجو من فعله وهو تفريق الأتباع عن العنسي وإخافتهم وسهولة القضاء على المرتدين.

والناظر إلى حروب الردة يجد أن خالد بن الوليد عاقب المرتدين الذين عدوا على أهل الإسلام ومثلوا بهم، فحرقهم بالنيران ورضخهم بالحجارة ورماهم من فوق رؤوس الجبال [٣].

---

(١) هو أحد أبناء أهل فارس أرسل من قبل كسرى مع سيف بن ذي يزن لمحاربة الأحباش وإخراجهم من اليمن، أقبل على رسول الله، وأعلن إسلامه ورجع إلى اليمن، وكان ممن شارك في قتل الأسود العنسي، توفي في خلافة عثمان بن عفان (ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري البغدادي(ت: ٢٣٠هـ / ٨٤٥م) الطبقات الكبرى: تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م، ج٥، ص٥٣٢، ٥٣٣).

(٢) البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م): فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م، ص١١٠؛ الصحاري: أبو المنذر سلمة بن مسلم (ت: ٥١١هـ/ ١١١٧م): الأنساب، تحقيق: محمد إحسان النص، طبعة وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط٤، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ج٢، ص٨١٦،٨١٧.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٢٦٢. ٢٦٣؛ ابن الأثير: أبو الحسن علي بن=

ويقال أن هذا الأمر قد أرسل به الصديق ﷺ إلى قائده خالد بن الوليد قائلا له في أمر بني حنيفة أتباع مسيلمة الذين ارتدوا عن الإسلام ونكلوا بمن بقي على إسلامه من المسلمين: فإن أظفرك الله بهم فإياك والإبقاء عليهم، أجهز على جريحهم، واطلب مدبرهم، واحمل أسيرهم على السيف، وهول فيهم القتل، وأحرقهم بالنار، وإياك أن تخالف أمرى، والسلام عليك(١).

والحقيقة فإنه يجب على المرء أن يتوقف طويلا أمام هذا الأمر خاصة وأن الذي روى تلك الحادثة في تاريخ الطبري هو سيف بن عمر وهو مشهور بضعفه بل وكذبه في العديد من الروايات التاريخية، كما أن فيه إساءة ظن بصحابة رسولنا صلى الله عليه وسلم، والعديد من الأحاديث نهت عن أمر الحرق بالنار، وفيه تناقض لما كان عليه الصديق من رأفة ورحمة، ووصيته لجيوشه بصفة عامة بعدم القتل والمثلة والحرق.

وعلى فرض صحة شيء مما ذكر فهو ليس من العنف في شيء، بل جزاء وفاقا واستيفاء حق لما فعلوه بالمسلمين من مثلة وحرق وتدمير للفئة القليلة التي بقيت على دينها، وليتحقق إخافة الأعراب والمرتدين في شبه الجزيرة العربية، أي أن ما فعل كان على سبيل القصاص، لخوف المسلمين على الإسلام وهم في حقيقة الأمر أمام ظرف استثنائي، ولا

=أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م) الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان ـ ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ج٢، ٢٠٦، ٢٠٧.

(١) الكلاعي: أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري الأندلسي، (ت: ٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والثلاثة الخلفاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠مـ، ج٢، ص١١٦؛ الحميري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري (ت/٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م) الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، طبع على مطابع دار السراج، ط٢، ١٩٨٠م، ص٦٢٠؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، دار النفائس، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص٨٣.

خلاف في عدم جواز مثل تلك الأمور الآن[١]، وفي هذا دليل دامغ على أن المتطرفين لا يحق لهم أن يستدلوا بتلك الروايات على ممارسة أفعالهم الاجرامية البشعة ضاربين بكل النصوص الشرعية والقواعد الفقهية والظروف التاريخية التي نهت عن مثل تلك الأمور عرض الحائط .

وهناك حادثة ورد ذكرها في كثير من المصادر وهي إبانة رأس مالك بن نويرة[٢] في قتال خالد له سنة(١١هـ/ ٦٣٢م)[٣]، وأن خالداً ﷺ قد جعل رأس مالك أثافيا ـ حجارة ـ لإناء، وكان من أكثر الناس شعرا وإن رأسه ليدخن وما خلصت النار إلى رأسه[٤]،

وتعليقا على هذا الأمر فحقيقة أستبعد أن يكون القائد خالد بن الوليد ﷺ قد فعل هذا الأمر سواء مع مالك بن نويرة أو غيره لنفس الأسباب سالفة الذكر، فهذا الكلام فيه مبالغة واضحة يأبى العقل أن يصدقها إذا كيف للنار ألا تستطيع أن تنفذ إلى الرأس من كثر الشعر!؟؛ وكيف لخالد أن يفعل هذا الأمر مع الخلاف الذي حدث حول قتل مالك بن

(١) ابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، (ت: ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م) المغني، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، ج٩، ص٢٨٧.

(٢) مالك بن نويرة بن يربوع التميمي أخو الشاعر متمم بن نويرة، قدم على النبي ﷺوأعلن إسلامه، واستعمله ﷺ على بعض صدقات بني تميم، فلما توفي النبي ﷺ وارتدت العرب، كان ممن ارتد عن الإسلام وقصته مشهورة في كتب التاريخ (ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية ط١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ج٥، ص٤٨).

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ج٩، ص ٤٦٢؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ج٥، ص٥٦١.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٣، ص ٢٧٩؛ الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، (ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٣ هـ –١٩٩٣م، ج٣، ص٣٤.

نويرة!!؟.

مما لا شك فيه أن قتل القادة وإبانة رؤوس الكفار من وسائل التخويف التي اتبعها المسلمون في فتوحاتهم وحروبهم من ذلك: ما كان من خالد بن الوليد عقب وصوله من بلاد العراق، لنجدة إخوانه في بلاد الشام، فقابل في طريقه مسالح(١) وحصوناً للروم كان لا بد من محاربتها والقضاء عليها، فقد أمر خالد المسلمين أن يحملوا على الروم لأنهم مشتاقون إلى أصحابهم، فأخذوا رأس عدو الله وردان وتوجهوا نحو عسكر الروم، فلما وصل خالد الصفوف نادى يا أعداء الله هذا رأس صاحبكم وردان أنا خالد بن الوليد أنا صاحب رسول الله ﷺ، ثم إنه رمى الرأس، وحمل عليهم وحمل المسلمون، وقال احملوا يا أهل القرآن، وحفاظ الدين، وحماة المسلمين، فلما رأى الروم رأس وردان ولوا الأدبار، وركنوا إلى الفرار، ولم يزل السيف يعمل فيهم من الصباح إلى الغروب(٢).

وإذا كان هناك خلاف بين المؤرخين حول نسبة كتاب فتوح الشام إلى الواقدي، إلا أننا لا نستبعد حدوث هذا الأمر من خالد بن الوليد رضي الله عنه خاصة وإن كان الأمر فيه رهبة لأعدائه، ومن المؤكد أنه قابل في طريقه من العراق إلى الشام مسالح وفرقاً عسكرية استطاع القضاء عليها(٣).

وبعد إبانة رأس وردان تولى الأمر قائدُ آخر يدعى القبقلار: الذي أرسل أحد عيونه ليتحسس ويتجسس على المسلمين، فدخل الرجل بين المسلمين فأقام فيهم يوما وليلة بهيئة رجل عربي لا يعرف فعرف خبرهم، ثم رجع فقال له القائد: ما وراءك؟ قال: بالليل رهبان، وبالنهار فرسان، فقال له لئن كنت صدقتني لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها، ولوددت أن حظي من الله أن يخلى بيني وبينهم، فلا ينصرني عليهم، ولا ينصرهم علي؛ ثم تزاحف الناس، فاقتتلوا، فلما رأى القبقلار ما رأى من قتال المسلمين، قال للروم: لفوا رأسي بثوب، قالوا له: لم؟ قال: يوم بئيس، لا أحب أن أراه! ما رأيت في الدنيا يوما أشد من هذا!

(١) المسلحة: الجند الذين يحفظون الثغور، سموا مسلحة لأنهم يكونون ذوي سلاح (ابن منظور: لسان العرب، مادة سلح، ج٢، ص٤٨٧)

(٢) الواقدي: فتوح الشام (منسوب إليه)، دار الكتب العلمية ١٤١٧هـ، ط١، ١٩٩٧م، ج١، ص٦٠.

(٣) ياسين سويد: معارك خالد بن الوليد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٩م، ٢٧٠، ٢٧١.

فاحتز المسلمون رأسه، وإنه لملفف[١].

ولذلك تعامل المسلمون في حروبهم بنفس معاملة أعدائهم، ففي معركة أجنادين[٢] سنة (١٣هـ/ ٦٣٤م) بعث عمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة رضى الله عنهم برأس أحد بطارقة الشام إلى أبي بكر رضى الله عنه مع عُقبة بن عامر، فلما قدم عليه أنكر ذلك فقال له عقبة: يا خليفة رسول الله إنهم يصنعون ذلك بنا فقال: أفأستن بفارس والروم، لا يحمل إلي رأس إنما يكفي الكتاب والخبر[٣].

وبذلك فقد اتبع المسلمون هذه الطريقة؛ لما لإبانة رؤوس القادة من تأثير سلبي على الجنود وعلى معنوياتهم، وكجزء من الحرب النفسية التي مارسها المسلمون على أعدائهم، فهم في حالة حرب، بل وصل الأمر كما ذكرنا أن المسلمين بعثوا برأس أحد البطارقة إلى الخليفة أبي بكر الصديق كبشارة بالنصر وإذا كان الصديق رضى الله عنه قال: لا يحمل إلى رأس فهذا ليس دليلا عن امتناعهم عن إخافة العدو بكل ما تيسر لهم، وإنما لكراهة حمل الرؤوس من مكان إلى آخر.

وانظر أيها القارئ الكريم إلى أهمية إبانة الرؤوس في تخويف الأعداء وتحقيق النصر وتقوية قلوب المسلمين وإضعاف شوكة الكافرين وغيرهم من المعتدين.

فحين غزا عبد الله بن سعد بن أبي السرح إفريقية(تونس) سنة(٢٧هـ/٦٤٧م) وكان

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٣، ص٤١٨؛ شكري فيصل: حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول دراسة تمهيدية في القرن الأول، مطابع دار الكتاب العربي، مصر ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م، ص٣٣.

(٢) موضع معروف ببلاد الشام بالقرب من فلسطين (ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م،ج١، ص١٠٣)

(٣) البيهقي: السنن الكبرى، كتاب السير، باب ما جاء في نقل الرؤوس، ج٩، ص ٢٢٣؛ السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت٩١١هـ/١٥٠٦م) تاريخ الخلفاء تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص٨٣.

عليها جريجوريوس، ويسميه العرب جرجير، أو جرجيس[١] في حوالي ١٢٠ألف مقاتل والمسلمون لا يتجاوزون ٢٠ ألف مقاتل فاختلف الناس على عبد الله بن سعد، ودخل فسطاطه وخلا بنفسه يفكر ماذا يصنع، وإذ بعبد الله بن الزبير: ينظر إلى الملك جرجير من خلف الصفوف وهو راكب فرسه معه جاريتان تظلان عليه بريش الطواويس بينه وبين جنده أرض ليس فيها أحد، فخرجت أطلب ابن أبي السرح، فأتيت حاجبه فأبى أن يأذن لي، فدرت من خلف الفسطاط، فدخلت عليه فوجدته مستلقيا على ظهره، فلما دخلت فزع واستوى جالسا فقال: ما أدخلك عليَ يا ابن الزبير قلت رأيت عورة من العدو، فاخرج فاندب معي الناس قال: وما هي فأخبرته، فخرج معي سريعا فقال: أيها الناس انتدبوا مع ابن الزبير فاخترت ثلاثين فارسًا، وحملت في الوجه الذي رأيت فيه جرجير، وقلت لأصحابي احموا ظهري فو الله ما شئت أن خرقت الصف إليه فخرجت صامدا له وما يحتسب هو ولا أصحابه إلا أني رسول إليه حتى دنوت منه فعرف الشر فثنى فرسه موليا وأدركته فطعنته فسقط وسقطت الجاريتان عليه وأهويت إليه مبادرا فذففت عليه بالسيف وأصبت يدي إحدى الجاريتين فقطعتها، ثم احترزت رأسه فنصبته في رمحي وكبرت وحمل المسلمون في الوجه الآخر، وهرب العدو في كل وجه ومنح الله المسلمين أكتافهم[٢].

وإذا كانت هناك بعض المصادر التي ذكرت أن عبد الله بن الزبير قتل جرجير في أثناء هجوم المسلمين على قواته ولم تذكر إبانة رأسه[٣] فإنه لا تعارض أبدا بين الروايات التاريخية

(١) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية،١٩٩٩م، ص٧١.

(٢) مصعب الزبيري: مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير (ت: ٢٣٦هـ/٨٥٠م) نسب قريش تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص٢٣٨، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٢٨، ص١٨١، ١٨٢؛ ابن عذاري المراكشي: أبو عبد الله محمد بن محمد (ت: ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان ط٣، ١٩٨٣م، ج١، ص١١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥، ص٤٤١؛ ابن كثير: البداية والنهاية: ج١٠، ص٢٢٧.

(٣) ورد في بعض المصادر أن عبد الله بن الزبير قال لابن أبي السرح، الرأي أن تترك جماعة=

التي يكمل بعضها بعضا ويساند بعضها بعضا، خاصة وأن الهدف قد تحقق وهو قتل جرجير على يد ابن الزبير، ونؤيد ما ذكرته الروايات في مصادر متعددة من قطع ابن الزبير لرأس جرجير؛ لأن تلك المصادر التي لم تذكر إبانة رأسه ذكرت أنه: سُمع منادي جرجير يقول: من قتل عبد الله بن سعد فله مائة ألف دينار وأزوجه ابنتي، فحضر عنده ابن الزبير وقال له: تأمر مناديا ينادي: من أتاني برأس جرجير نفلته مائة ألف وزوجته ابنته واستعملته على بلاده، فصار جرجير يخاف أشد من عبد الله بن سعد [1]، ومن ثم فإن الروايات التي لا تذكر إبانة الرأس تؤيد ما حدث بشكل غير مباشر كما ذكر، وكما هو معلوم أنه في حالة الحرب يباح فيها ما لا يباح في غيرها خاصة وإن كان فيها تحقيق النصر، وإخافة الأعداء وتفريق شملهم مع قلة الأعداد والإمكانيات لدى المسلمين.

وخلاصة القول: أن ما حدث من إبانة الرؤوس وحزها إنما كان في أرض المعركة ووقت التقاء الجيوش، أما حين تضع الحرب أوزارها تبدأ مرحلة أخرى من المفاوضات والفداء وغير ذلك، فإبانة الرأس ليس هدفًا بذاته، وإنما هو وسيلة لتحقيق هدف معين.

=من أبطال المسلمين المشاهير مستعدين للحرب، وتقاتل الروم بباقي العسكر إلى أن يتعبوا فتركبهم بالآخرين على غرة، لعل الله ينصرنا عليهم ووافق على ذلك أعيان الصحابة، ففعلوا ذلك وركبوا من الغد إلى الزوال وألحوا عليهم حتى أتعبوهم، ثم افترقوا، وأركب عبد الله الفريق الذين كانوا مستريحين فكبروا وحملوا حملة رجل واحد حتى غشوا الروم في خيامهم فانهزموا وقتل كثير منهم وقتل ابن الزبير جرجير (ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص ٤٦٣، ٤٦٤؛ ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العجم والعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، ج٢، ص٥٧٤).

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٤٦٣.

٢ـ المصلحة العامة والخاصة:

إن بعض الحوادث التي حصل بها إبانة رؤوس الأعداء إنما كان لمصلحة خاصة تقتضي ذلك كاستنقاذ بعض المسلمين من الأعداء وحثهم على القتال من ذلك: ما كان أثناء حصار الإسكندرية(٢١هـ/ ٦٤١م) من قبل عمرو بن العاصت فقد حدث بينه وبين الروم مناوشات على باب حصن الإسكندرية فحمل الروم على المسلمين مرة فقتلوا رجلا من قبيلة مهرة[١] وقطعوا رأسه وأخذوها معهم، فجعل المهريون يتغضبون ويقولون: لا ندفنه أبدا إلا برأسه، فقال عمرو بن العاص: تتغضبون كأنكم تتغضبون على من يبالى بغضبكم، احملوا على القوم إذا خرجوا فاقتلوا منهم رجلا، ثم ارموا برأسه يرموكم برأس صاحبكم؛ فخرجت الروم إليهم، فاقتتلوا، فقتل من الروم رجل من بطارقتهم، فاحتزوا رأسه، فرموا به إلى الروم، فرمت الروم برأس المهري إليهم، فقال: دونكم الآن، فادفنوا صاحبكم[٢].

من هنا نستطيع أن نفهم أن هناك حالات حدث فيها تبادل للجثث والرؤوس بين المسلمين والأعداء.

كما كان من المصلحة الخاصة عند بعض الأتباع اقتراحهم إبانة الرأس وإخفاءها خوفا على صاحبها من التمثيل به وبرأسه من ذلك؛ ما كان من زيد بن علي[٣] حين خرج على

---

(١) قبيلة يمنية تشتهر بنوع من الإبل يطلق عليها المهرية ولذلك انتسبوا إليها (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٣٤).

(٢) ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله عبد الحكم بن أعين القرشي المصري (ت: ٢٥٨هـ/ ٨٧١م) فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد الحجيري، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص٨٨.؛ الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله، ج٢،ص ٣٣٨، ٣٣٩.

(٣) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين الهاشمي، وأمه أم ولد، روى عن أبيه؛ زين العابدين، وأخيه؛ الباقر، وعروة بن الزبير، كان ذا علم وجلالة وصلاح، خرج عن الطاعة، حين وفد على متولي العراق يوسف بن عمر، فأتاه قوم من الكوفة، فقالوا: ارجع نبايعك، فما يوسف بشيء، فأصغى إليهم، وعسكر، فبرز لحربه عسكر يوسف، فقتل في خلافة هشام بن عبد الملك، وكان له يوم قتل اثنتان وأربعون سنة (ابن سعد: الطبقات الكبرى،=

الخليفة هشام بن عبد الملك(١٠٥- ١٢٥هـ / ٧٢٤ -٧٤٣م) في الكوفة والوالي على العراق يوسف بن عمر الثقفي[١] فتخاذل عنه أهل الكوفة، وحاصره يوسف ووقعت بينهما بعض المناوشات والقتلى بين الطرفين انتهت إلى أن أصيب زيد بسهم في جبهته و طلبوا له من يخرجه فأخرجه إلا أنه لم يلبث أن مات، وبعد موته اختلف من معه: أين ندفنه، وأين نواريه؟ فقال بعض أصحابه: نلبسه درعه ونطرحه في الماء، وقال بعضهم: بل نحتز رأسه ونضعه بين القتلى، فاعترض ولده يحيى وقال: لا والله لا تأكل لحم أبي الكلاب، فأشار البعض أن ننطلق به إلى الحفرة التي يؤخذ منها الطين فندفنه فيها، فقبلوا هذا الرأي، وحفروا له بين حفرتين، وفيها حينئذ ماء كثير، ودفنوه، وجرى عليه الماء وذلك عام (١٢٢هـ/ ٧٤٠م)[٢].

من ذلك نفهم أن القوم خافوا عليه من الإبانة والصلب فأرادوا إخفاء رأسه لكي لا ينكل بها، وأن يبقى بدنه بين الجثث لا يعرف فسيدفن ويجرى عليه ما يجري عليهم، وكما يقال فإن الضرورات تبيح المحظورات، ولكن يبدو أن ولده يحيى لم يكن على دراية كاملة بما

=ج٥، ص٣٢٥، ٣٢٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ج٥، ص٣٨٩، ٣٩٠)

(١) يوسف بن عمر بن محمد بن مسعود الثقفي ، كان شهما، مهيبا، جبارا، جوادا، معطاء، ولاه هشام بن عبد الملك اليمن، سنة ١٠٦هـ/ ٧٢٥م، فلم يزل والياً بها حتى كتب إليه هشام في سنة ١٢٠هـ/٧٣٨م بولايته على العراق، فاستخلف على اليمن ابنه الصلت، وكانت ولاية إلى سنة ١٢٤هـ/٧٤٢مـ، انتهى به الأمر إلى أن قتل سنة ١٢٧هـ / ٧٤٤م وعمره أكثر من ستين سنة(ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت،١٩٩٤م، ج٧، ص١٠١- ١١٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٥،ص ٤٤٢- ٤٤٥)

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٧، ص١٨٥، ١٨٦؛ مسكويه: أبو علي احمد بن محمد بن يعقوب، (ت:٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) تجارب الأمم: تحقيق: أبو القاسم إمامي، دار سروش، طهران، ط٢، ٢٠٠٠م، ج٣، ص١٤٦، ١٤٧.

سوف يحدث لو عثر على والده وهو ميت، أو أنه ظن أنه لا يعثر عليه أحد بعد إخفاء دفنه حتى لو دفن بجوار الأنهار وجرى الماء من فوقه، فترى من يريدون الجائزة أو من خافوا من الوالي يوسف بن عمر دلوا على قبر زيد، فاستخرج وأبينت رأسه، وصلب جسده، وبعث بالرأس إلى هشام بن عبد الملك، فأمر به فنصب على باب دمشق، ثم أرسل به إلى المدينة فصلب بها(١).

والعجيب أن يحيي بن زيد بعد العفو عنه هرب إلى خراسان وتوارى بها حتى خف عنه الطلب، ثم أرسل إليه حين هم بالتمرد وأحس من نفسه القوة رجلا من رجالات نصر بن سيار (٢) والي خراسان مع جنوده في عهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥- ١٢٦هـ / ٧٤٢ ـ ٧٤٣م)، فقتله واحتز رأسه في أواخر عام ١٢٥هـ/٧٤٢م وبعث برأسه إلى نصر بن سيار، وأرسلها نصر إلى والى العراق يوسف بن عمر، وصلب جسده في خراسان إلى أن تم إنزالها بعد استلاء العباسيين عليها (٣)، وبذلك نرى أنه نال نفس مصير والده من قتله وإبانة رأسه.

---

(١) ابن الجو زي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ /١٩٩٢م، ج٧، ص٢١٢.

(٢) أبو الليث نصر بن سيار من أهم رجالات الدولة الأموية في حقبتها الأخيرة، تولي خراسان في عهد هشام بن عبد الملك وظل واليًا عليها عشر سنين حتى قرب نهاية الدولة الأموية، خرج عليه صاحب دعوة بني العباس أبو مسلم الخرساني، فحاربه نصر واستصرخ الخلافة الأموية عليه لإنقاذ خراسان فلم يجيبه مروان بن محمد لانشغاله بإخماد الفتن والثورات إلى أن اضطر نصر للتقهقر عن خراسان إلى أن جاءه الموت عام١٣١هـ(ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم الدينوري (ت: ٢٧٦هـ/٨٨٩م) المعارف: تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م ، ص٤٠٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٥، ص٤٦٤)

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر بيروت، ط١ ،١٤١٧ هـ -١٩٩٦م، ج٣، ص ٢٦٠-٢٦٢؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٧، ص٢٢٨-٢٣٠؛ مسكويه: تجارب الأمم ج٣، ص١٤٦-١٤٧.

وحقيقة فإن المرء لا يعجب إذا حاول أحد إخفاء جثة أو رأس حتى لا ينكل بها في دار الحرب أو في دار قريبة من دار الشرك، أما العجيب والطامة فهو أن تخاف أن تموت وينكل بك بعد موتك من قبل بعض خصومك السياسيين.

٣ـ الخلافات السياسية والخروج عن الطاعة.

لقد كان تخويف الأعداء في الحروب على قدر الحاجة والمصلحة من قتل قادتهم، وإبانة رؤوسهم ثم تطور الأمر ـ في بعض الأحيان ـ إلى أن أصبح وسيلة للتنكيل في الدولة الأموية لأسباب سياسية، بل إن المرء ليحزن عندما يجد هذا التنكيل يصل إلى حد التشفي والتعامل بطريقة بعيدة عن روح الإسلام وسماحته العظيمة، تمثل هذا الأمر بوضوح في سياسة بعض قادة الدولة الأموية الذين اتخذوا من القتل وسيلة من وسائل تعنيف المعارضة السياسية، حتى تستطيع الدولة أن تحافظ على سلطانها من التدهور والانهيار أمام هذا الكم الهائل من الثورات والاعتراضات على وجودها وسياستها تمثل هذا الأمر بصورة واضحة في قضية مقتل الإمام الحسين ومعاونيه.

فبعد موت الخليفة معاوية بن أبي سفيان سنة(٦٠هـ/٦٨٠م) لم يبايع الحسين لولده يزيد بالخلافة وعارض هذا الأمر، وأتت المراسلات إليه من الكوفة تحثه على الخروج قائلين له: إنا قد حبسنا أنفسنا عليك، ولسنا نحضر الجمعة مع الوالي، فأقدم علينا[١]، ومع كم المراسلات التي وردت على الحسين رضي الله عنه اختار ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب ليستوثق من أهل الكوفة ويعرف طاعة الناس له[٢]، وبالفعل أتى مسلم بن عقيل الكوفة وبدء في أخذ البيعة للحسين وعندما تأكد من صدق أهل الكوفة أرسل إلى الحسين يخبره بالوضع وبحقيقته قائلا إن الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألف رجل، فأقدم، فإن جميع الناس معك، ولا رأي لهم في آل أبي سفيان[٣].

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٥، ص٣٤٧؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ، ج٢، ص٣٤٩.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٢، ص٧٧.

(٣) الدينوري: أبو حنيفة أحمد بن داود، (ت: ٢٨٢هـ /٨٩٥م) الأخبار الطوال، تحقيق: =

لكن على ما يبدو أن مسلم بن عقيل لم يكن سياسيا محنكا لكي يفهم طبيعة أهل الكوفة المتقلبة وغدرهم، ولذا استطاع عبيد الله بن زياد بدهائه وذكائه أن يقبض على مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة [١] وقتلهما دون أن يحرك أتباعهم ساكنا ولا حتى العصبية القبلية استطاعت أن تنقذ الأخير وهو يساق إلى القتل بل قام ابن زياد بصلبهما في سوق الكوفة ولذلك جسد أحد الشعراء هذه النهاية المأسوية والحزينة قائلا:

فَإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري .. إِلَى هانئ في السوق وابن عقيل

إلى بطل قـد هشَّم السيف وجهه ... وآخر يهوي من طمار قتيل [٢]

وبعد أن تم لابن زياد ما أراد عمد إلى تخويف أهل الكوفة وتفريقهم والتنكيل بكل من تسول له نفسه الخروج على سياسة الدولة فكان قتل مسلم ورمي جثته من أعلى القصر [٣].ثم قام بإبانة رؤوسهما وأرسلها إلى يزيد بن معاوية(٦٠ـ ٦٤هـ/ ٦٨٠ـ٦٨٣م) فكان أول رأس أرسل إلى الشام وأول جثة صلبت من بني هاشم[٤].

وفي الحقيقة فإن هذا الموقف من ابن زياد يدل على يقظة الدولة وأنها لا تزال دولة قوية قادرة على مجابهة من تسول له نفسه الخروج عليها، ولكن ألم يكفِ ابن زياد أنه قتل وصلب وخوف وأرهب!!؟ ولكنه زاد في التنكيل فأبان رأس مسلم مع أنه كان يكفيه النفي والسجن أو حتى القتل دون التنكيل خاصة وأن الخليفة يزيد خيره في هذا الأمر حين ولاه الكوفة فقال له: أما بعد، فإنه كتب إلى أعواني من أهل الكوفة يخبرونني أن ابن عقيل

=عبد المنعم عامر، راجعه: الدكتور جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة، ط١، ١٩٦٠م، ص ٢٤٣، الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٥، ص٣٧٥.

(١) يعد من أشراف أهل الكوفة، وفد عليه مسلم بن عقيل فضيفه وأكرمه وأجاره، أخباره بهذا الشأن في كتب التاريخ، قتل مع مسلم بن عقيل على يد ابن زياد سنة ٦٠هـ/ ٦٨٠م(الدينوري: الأخبار الطوال، ص٢٣٣، ٢٣٤؛ مسكوية: تجارب الأمم ج٢، ص٤٥ـ ٥٠)

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٤، ص٤٢، البلاذري: أنساب الأشراف ج٢، ص٨٣.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف ج٢، ص٨٢؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٥، ص٣٧٨.

(٤) يوليوس فلهوزن: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢، ١٩٦٨م، ص١٤٤.

بالكوفة يجمع الناس لشق عصا المسلمين، فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي أهل الكوفة فتطلب ابن عقيل حتى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه، والسلام"(١).

وكان لقتل مسلم وهانئ أثر كبير في نفوس الشيعة حين رأوا أن كل من تسول له نفسه مناصرة الحسين ومن معه سيكون مصيره القتل والتنكيل والمثلة بعد موته.

إن الأحداث المؤلمة استمرت بخروج الحسين رضي الله عنه وقصده للكوفة على الرغم من التحذيرات الشديدة التي وصلت إليه من كل مكان تحذره غدر أهل الكوفة وما قد يسببه خروجه من ويلات ولم يلبث وهو في طريقه أن علم بمقتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة فاغتم لذلك وأدرك أن التحذيرات بغدر أهل الكوفة كانت على صواب، فأراد الرجوع وهم أن يرجع، فتدخل إخوة مسلم بن عقيل قائلين: والله لا ترجع حتى نصيب بثأرنا، فقال الحسين: لا خير في الحياة بعدكم (٢).

وتعقيبا على هذا الأمر فحقيقة إنَ هذا منطق عجيب من إخوة مسلم بن عقيل حين أصروا على الثأر لمقتل أخيهم مع علمهم أن الذي قتله ليس شخصا وإنما السلطة الحاكمة فهل كان في مقدورهم وهم قلة قليلة أن يتصدوا لدولة بإمكاناتها البشرية والحربية لينالوا منها ثأرهم؟!!(٣).

وسار الحسين رضي الله عنه ومن معه حتى وصلوا إلى كربلاء وبعد أخذ ورد وعرض كان ابن زياد قاب قوسين أو أدنى من الموافقة على عرض الحسين (٤) إلا أن أعوانه ومنهم

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٥، ص٣٥٧.

(٢) المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة، قم ،١٤٠٩هـ، ج٣، ص٦٠. ٦١؛ ابن الجو زي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٥، ص٣٢٩.

(٣) عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي (٤١. ١٣٢هـ/ ٦٦١. ٧٥٠م) دراسة سياسية، دار السلام للطباعة والنشر، ط١، سنة ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص٤٠٧، ٤٠٨م

(٤) وكان العرض الذي عرضه الحسين أن قال اختاروا مني خصالا ثلاثا: الأولى: إما أن أرجع إلى المكان الذي جئت منه، الثانية: إما أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية فيرى فيما بيني=

شمر بن ذي الجوشن أشاروا عليه بعدم القبول منه إلا أن يضع يده في يدك ويخضع لأمرك ويكون طوع كلمتك، فإن لم يفعل ذلك أخذته بالقوة [١].

وبعد رفض الحسين لهذه المهانة حدثت معركة غير متكافئة أودت في النهاية بحياة الحسين ﷺ وإبانة رأسه، وكان الذي تولى قتله سنان بن أنس ..... وأرسل عمر بن سعد رأس الحسين ابن بنت رسول الله وبعد وصول الرأس إلى ابن زياد "فجعل في طست فجعل ينكت وقال في حسنه شيئا فقال أنس كان أشبههم برسول الله ﷺ وكان مخضوبا بالوسمة"[٢].

وفي رواية أخرى أنَّ عبيد الله أذن للناس بالدخول ورأس الحسين موضوع بين يديه، وهو ينكت بقضيب بين ثنيتيه ساعة، فلما رآه زيد بن أرقم أحد صحابة رسول الله ﷺ: لا يكف عن ملامسته بالقضيب، قال له: اعل بهذا القضيب عن هاتين الثنيتين، فو الله لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ على هاتين الشفتين يقبلهما، ثم انفضخ الشيخ يبكي، فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك! فو الله لولا أنك شيخ خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك [٣].

=وبينه رأيه، الثالثة: أن تسيروني إلى أي ثغر من ثغور المسلمين، فأكون رجلا من أهله، لي ما لهم وعلي ما عليهم؛ وهناك قول أخر رواه أحد اتباع الحسين بن على، وهو عقبة بن سمعان حين قال: صحبت الحسين من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى العراق ولم أفارقه حتى قتل، وسمعت جميع مخاطباته للناس إلى يوم مقتله، فوالله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس أنه يضع يده في يد يزيد، ولا أن يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين، ولكنه قال: دعوني أرجع إلى المكان الذي أقبلت منه ودعوني أذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر إلى ما يصير إليه أمر الناس فلم يفعلوا، ومع ميلي إلى القول الأول لأنه هو المناسب للأحداث وتطورها، وأيا ما كان الأمر فقد جنح الحسين إلى السلم لكن لم يغن عنه شيئا(الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج٥، ص٤١٣؛ ابن الأثير: ج٣، ص١٦٤)

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ج٣، ص١٨٢.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما قال نافع بن جبير عن أبي هريرة عانق النبي ﷺ الحسن)، حديث رقم ٣٥٣٨، ج٣، ص١٣٧٠.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٥، ص٤٥٦؛ ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري،=

ويمكن أن نرجع سبب تلك الجفوة والإقدام على قتل الحسين واجتزاز رأسه إلى أن الجيش الذي كان يدين لبني أمية فيه قوم من العرب الجفاة الغلاظ الذين لم يصاحبوا النبيﷺ ولم يتأثروا به، ووجدت بينهم العصبية والتفاخر والبعد عن سكينة الإيمان؛ حيث كانوا يرون من أنفسهم التقدم على قريش بأنسابهم وكثرتهم ومقاتلتهم للفرس والروم(١) ولذا تجدهم بعد الإحجام عن القتل قد أقبل الغلاظ منهم على التخلص منه، وانظر إلى ما ذكره بعض الناس عن أحد الغلاظ الأجلاف وهو شمر بن الجوشن الذي وصفه بأنه بهيمة في صورة آدمي، وأنه لا يحسن من كتاب الله آيتين ولا يعرف حلالا من حرام(٢).

وهنا يجب علينا إحقاقًا للحق أن نظهر موقف البيت الأموي من تلك الفتنة، فقد أكد الخليفة على مراعاة حرمة دم الحسين، يدل على ذلك ما كان من الخليفة يزيد لابن زياد حين بعث إليه برسالة قائلا: قد بلغني أن الحسين قد توجه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح، واحترس واحبس على الظنة وخذ على التهمة، غير ألا تقتل إلا من قاتلك، واكتب إلى في كل ما يحدث من خبر، والسلام (٣).

من ذلك ندرك أن الخليفة لم يكن يبيت غدرا للحسين بن على؛ بل كان حريصا على أن تنتهي الأزمة بسلام قبل أن تبدأ، فأرسل إلى عبد الله بن عباس أن يراجع الحسين فلا يسعى في الفرقة والخلاف (٤) ثم ألم يحزن يزيد على قتل الحسين؟ فقال: قد كنت أرضى من

=رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ج٧، ص٩٦.

(١) ابن خلدون: العبر، ج١ ص٢٦٨.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل ج٥، ص٤٢٦؛ ابن الأثير: الكامل ج٣، ص ١٧١، النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، ت: ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ، ج٢٠، ص٤٤٣.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج٥، ص٣٢٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية ج١١، ص٥٠٨.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٤، ص٢١٠.

طاعتكم بدون قتل الحسين، لعن الله ابن سمية- يقصد عبيد الله بن زياد- أما والله لو كنت صاحبه لعفوت عنه، ثم دعا له بالرحمة والمغفرة [١]، ثم ألم يحسن يزيد معاملة آل بيت الحسين عندما ذهبوا إليه، ألم تنزل النسوة دار يزيد؟ ألم تقم المناحة على الحسين في قلب دار الخلافة؟ ألم يرسل معهم في عودتهم ما يصلحهم ويقوم على أمرهم؟ ألم يترك على بن الحسين حيا دون أن يتعرض له؟ [٢].

وبذلك نستطيع أن نقول: إن يزيد بن معاوية لم يأمر أمرًا مباشرًا بقتل الحسين، ولم يفرح به، بل كان حريصا على أن تنتهي الأزمة بسلام، ولذا فإننا لا نستطيع أن نحمله مسئولية دم الحسين، مع عدم إعفائه من ذلك كخليفة للمسلمين كان يستطيع إصدار الأوامر الصارمة لقادته بعدم الاقتراب من الحسين صيانة لمكانته وحرمته.

ومن الأمور الجديرة بالملاحظة أن كبار رجال البيت الأموي كانوا يحذرون من مغبة هذا الأمر فهذا مروان بن الحكم بعث إلى ابن زياد بعد خروج الحسين من مكة محذرا إياه من مغبة التطاول أو قتل الحسين فقال: أما بعد: "فإن الحسين بن علي قد توجه إليك وهو الحسين بن فاطمة وفاطمة بنت رسول الله، وبالله ما أحد يسلمه الله أحب إلينا من الحسين، فإياك أن تهيج على نفسك ما لا يسده شيء ولا تنساه العامة ولا تدع ذكره، والسلام"[٣].

وفي الحقيقة أن الذي حدث يعد من التجاوزات التي حدثت من قبل بعض القادة الأجلاف، وكان من الممكن أن تكون النهاية غير ذلك فأعتقد أنه ليس هناك تنكيل وتشف

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٤٦٠ ، ابن عبد ربه: أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم الأندلسي (ت: ٣٢٨هـ / ٩٤٠م) العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ١٤٠٤هـ، ج٥، ص١٣٠؛ مسكويه: تجارب الأمم ج٢،ص٨٢.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٤٦٢.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى: الجزء المتمم لطبقات ابن سعد [الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله ﷺ. وهم أحداث الأسنان] تحقيق: محمد بن صامل السلمي، مكتبة الصديق، الطائف، ط١، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م، ج١، ص٤٥٢؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٤، ص٢١٢.

أعظم من أن يكون الرأس في مكان والجسد في مكان آخر، والعجيب أن هؤلاء قد تناسوا قول رسول الله ﷺ "أعف الناس قتلة أهل الإيمان"(١)

وانظر إلى ما عقب به ابن خلدون(٢) حين جعل كلا الطرفين مجتهدا فقد جعل خروج الحسين لأمر دنيوي وهو محاولة الإصلاح وإرجاع الأمر إلى الشورى حتى وإن أخطأ إلّا أنّه في أمر دنيويّ لا يضرّه الغلط فيه، وأمّا من الناحية الدينية فلم يغلط فيه لأنّه ظن القدرة على الإصلاح، ولقد نهاه ابن العبّاس وابن الزّبير وابن عمر وابن الحنفيّة أخوه وغيره في مسيره إلى الكوفة وأعلموه خطأه في ذلك، ولم يرجع عمّا هو بسبيله لحكمة لا يعلمها إلا الله؛ وأمّا غير الحسين من الصّحابة الّذين كانوا بالحجاز ومع يزيد بالشّام والعراق ومن التّابعين لهم فرأوا أنّ الخروج على يزيد حتى وإن كان فاسقا لا يجوز لما ينشأ عنه من الهرج والقتل فأقصروا عن ذلك ولم يتابعوا الحسين ولا أنكروا عليه لأنّه مجتهد، ولا يذهب بك الغلط أن تقول بتأثيم هؤلاء بمخالفة الحسين وقعودهم عن نصره، فإنّ بعض الصّحابة كانوا مع يزيد ولم يروا الخروج عليه، وكان الحسين يستشهد بهم وهو بكربلاء على فضله وحقّه ويقول: سلوا جابر بن عبد الله وأبا سعيد الخدريّ وأنس بن مالك وسهل بن سعيد وزيد بن أرقم وأمثالهم ولم ينكر عليهم قعودهم عن نصره ولا تعرّض لعلمه أنه على اجتهاد وأن الصحابة الذين كانوا في جانب يزيد على اجتهاد، فالمخطئ له أجر والمصيب له أجران.

ومع كل يعجبني قول الإمام الحافظ ابن كثير(٣) في تعقيبه على قتل الحسين: وبتقدير أن تكون طائفة من الجهلة الغلاظ قد تأولوا عليه وقتلوه، ولم يكن لهم قتله، بل كان يجب

(١) ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ/ ٨٥٥م): المسند، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، رقم الحديث ٣٧٢٨، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، وآخرين إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ج٦، ص٢٧٤؛ ابن ماجة: سنن ابن ماجة، باب أعف الناس قتلة أهل الإيمان، حديث رقم ٢٦٨١، ج٣، ص٦٨٨، علق عليه الأرناؤوط فقال: حديث حسن.

(٢) العبر: ج١، ص٢٧٠ـ٢٧١.

(٣) البداية والنهاية ج١١، ص٥٧٨، ٥٧٩.

عليهم إجابته إلى ما سأل، فإذا ذمت طائفة من الجبارين لم تذم الأمة بكمالها لفعلهم، وتتهم على نبيها ﷺ ، فليس الأمر كما ذهبوا إليه، ولا كما سلكوه، بل أكثر الأمة قديما وحديثا كاره ما وقع من قتله وقتل أصحابه، سوى شرذمة قليلة من أهل الكوفة، وأكثرهم كانوا قد كاتبوه ليتوصلوا به إلى أغراضهم ومقاصدهم الفاسدة، فلما علم ذلك ابن زياد منهم بلغهم ما يريدون من الدنيا، وأخذهم على ذلك، وحملهم عليه بالرغبة والرهبة، فانكفوا عن الحسين وخذلوه ثم قتلوه، وليس كل ذلك الجيش كان راضيا بما وقع من قتله، بل ولا يزيد بن معاوية رضي بذلك – والله أعلم – ولا كرهه، والذي يكاد يغلب على الظن أن يزيد لو قدر عليه قبل أن يقتل لعفا عنه، كما أوصاه بذلك أبوه معاوية(١)، وكما صرح هو به مخبرا عن نفسه بذلك، وقد لعن ابن زياد على فعله ذلك وشتمه فيما يظهر ويبدو، ولكن لم يعزله على ذلك ولا عاقبه ولا أرسل يعيب عليه ذلك، فكل مسلم يأسف ويحزن لما حدث للحسين فإنه من سادات المسلمين وعلماء الصحابة، وفوق ذلك هو حفيد رسول الله؛ لكن لا يصل الأمر إلى إظهار الجزع الذي في أكثره تصنع فقد كان أبوه علىرضي الله عنه أفضل منه، ومع ذلك لا يتخذ الشيعة من قتله مأتما وعويلا كيوم الحسين، وعندنا نحن أهل السنة أن عثمان أفضل من على وذبح في داره وعمر قتل في محرابه ومع ذلك لم يفعل أهل السنة والجماعة مثلما يفعل الشيعة بعد مقتل الحسين.

(١) لقد أوصى معاوية رضي الله عنه ولده يزيد وأوصاه خيرا بالحسين رضي الله عنه فقال: "وإني لست أخاف من قريش إلا ثلاثة: الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، فأما ابن عمر فرجل قد شغله الدين، فليس ملتمسا شيئا قبلك، وأما الحسين بن علي فإنه رجل خفيف، وأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه، وخذل أخاه، وإن له رحما ماسة، وحقا عظيما، وقرابة من رسول الله، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه، فإن قدرت عليه فاصفح عنه، فإني لو أني صاحبه عفوت عنه، وأما ابن الزبير فإنه خب ضب ـ ماكر مراوغ ـ فإذا شخص لك فألبد له، إلا أن يلتمس منك صلحا، فإن فعل فاقبل، واحقن دماء قومك ما استطعت(الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت: ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م): البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ، ج٢، ص٩٠؛ الطبري: تاريخ الرسل ج٥، ص٣٢٣؛ ابن كثير البداية والنهاية، ج١١، ص٣٩٢، ٣٩٣).

وإذا كانت الدولة الأموية لم تحسن التصرف في بعض الأمور التي عرضت لها في جانب السياسة، إلا أن لها مواقف أخرى تصدت فيها لكل من تسول له نفسه مخالفة عقيدتها ومذهب جموع المسلمين، فقد تصدت لحركة الخوارج الذين خرجوا على الدولة فوقفت لهم بالمرصاد، فنال هؤلاء نصيبا كبيرا من إبانة الرؤوس وخاصة قادتهم ونكل بهم الأمويون فكانت الدولة ترسل القادة تباعًا خلف الخوارج لاستئصال شأفتهم، ومن ضمن من فعل ذلك عبيد الله بن زياد فقد تتبع أبرز قادة الخوارج في البصرة ومنهم عروة بن أدية[١] وأبو بلال بن مرداس[٢] قُتل الأول وأرسل للثاني الكتيبة تلو الكتيبة والقائد تلو الآخر حتى تمكنوا من قتله وإبانة رأسه والإتيان بها، وذلك سنة(٦١هـ/٦٨١م)[٣].

كما استطاعت الدولة الأموية أن تتخلص من قطري بن الفجاءة[٤] قائد الخوارج الأزارقة

(١) هو عروة بن حيدر بن أدية حضر صفين مع الإمام علي وهو من أوائل من اعترض على قضية التحكيم وقال: لا حكم إلا لله، تحكمون في أمر الله الرجال وأول من سل سيفه في هذا الشأن ونجا من حرب النهروان ولم يزل باقيا إلى أيام معاوية، وظفر به زياد فتخلص منه وقتله وصلبه سنة٥٨هـ (المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي، (ت:٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج٣، ص١٣٣؛ الطبري: تاريخ الرسل، ج٥، ص٥٥) .

(٢) كان هذا الرجل من جنود الإمام على يوم صفين، فخرج عليه وأنكر التحكيم، وشهد معركة النهروان مع الخوارج ومع أخيه عروة بن أدية، وكان عابدا مجتهدا عظيم الشأن عند الخوارج خرج من البصرة في ولاية عبيد الله بن زياد بعد الاضطهاد الذي تعرض له الخوارج فتعقبه ابن زياد إلى أن استطاع التخلص منه (البلاذري: أنساب الأشراف ج٥، ص١٨٠؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٠، ص٢٨٦).

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف ج٥، ص١٨٤؛ المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج٣، ص١٨٥-١٨٦.

(٤) هو قطرىّ بن الفجاءة، أحد رؤوس الخوارج والفجاءة لقب أبيه، لأنه غاب إلى اليمن، ثم قدم قومه فجاءة، خرج قطري زمن مصعب بن الزبير في ولايته على العراق وهو من خطباء العرب المشهورين بالبلاغة والفصاحة، ظل الحجاج بن يوسف الثقفي يسير إليه جيشا بعد جيش =

وأن تقطع رأسه سنة(٧٨هـ/٦٩٧م) بعد عدة معارك أدت إلى هزيمته.

لقد وقفت الدولة ضد الخوارج في أحلك الظروف والمواقف وكانت تولى الخوارج اهتماما كبيرا فمع اشتعال الثورات والفتن في كل مكان في عهد الخليفة مروان بن محمد، إلا أنه حين خرج أحد قادة الخوارج وهو الضحاك بن قيس الشيباني[١] واستطاع أن يستولي على الكوفة، بل وكثرت جموعه حتى اضطر الخليفة إلى المسير إليه بنفسه، فتمكن من هزيمته وقطع رأسه وإرسالها إلى مدائن الجزيرة سنة(١٢٨هـ/٧٤٦م)[٢]، ليتمكن الخليفة من دحر تلك الفرقة التي كبدت الدولة الإسلامية خسائر في الأرواح والممتلكات

ويلحظ أن خروج الوالي عن الطاعة كان دائما ما يودي به إلى التنكيل والقتل، بل وجعله عبرة لمن يعتبر، من ذلك ما حدث لآل المهلب.

فبعد تولي يزيد بن عبد الملك(١٠١-١٠٥هـ/ ٧١٩- ٧٢٣م) الخلافة كانت العلاقة بينه وبين المهالبة ملتهبة، ويرجع ذلك إلى أن زعميهم يزيد بن المهلب عذب أصهار ابن عبد الملك آل أبي عقيل لاستخراج الأموال منهم- ولم يقبل شفاعته قبل الخلافة فكان يزيد بن عبد الملك قد عاهد الله لئن أمكنه الله من يزيد بن المهلب ليقتصن منه وحينما سمع ابن المهلب بما قاله يزيد قال: والله لئن كان ذلك لأرمينك بمائة ألف سيف[٣] وانظر إلى هذا الرد

=وهو ينتصر عليه، ولم يزل الحال بينهم كذلك حتى توجه إليه القائد سفيان بن الأبرد، فظهر عليه وقتله، وله أخبار عديدة في كتب الأدب والتاريخ (ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد القرطبي الظاهري الاندلسي (ت٤٥٦هـ/١٠٦٤م) جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٢١٢؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٤، ص٩٢، ٩٣)

(١) الضحاك بن قيس الشيباني أحد زعماء الخوارج الصفرية وآخر من خرج في بلاد الجزيرة الفراتية التقي به مروان بن محمد في معركة كفر توثا من أرض الجزيرة فقتله بعد معارك طاحنة (ابن قتيبة: المعارف، ص٤١٢؛ الطبري: تاريخ الرسل ج٧، ص٣١٧)

(٢) الطبري: تاريخ الرسل ج٧، ص٣٤٥، ٣٤٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص٥١٨- ٥١٩؛ عبد الشافي عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي ص٤٠٢.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٦، ص٥٦٤؛ مسكوية: تجارب الأمم ج٢، ص٤٦٥،=

المتعجرف من يزيد بن المهلب على رجل من الأسرة الحاكمة تشعرك بأنه دولة داخل الدولة، ولذلك كان يوصف المهالبة وخاصة يزيد بالكبر والتجبر، فكان لا بد للخليفة الجديد الذي جاء بعد عمر بن عبد العزيز(٩٩-١٠١هـ/ ٧١٧- ٧١٩م) أن يتجرد للتخلص منهم، وبالفعل أصبح من أولى اهتمامات الخليفة يزيد القبض على ابن المهلب فجرد له أفضل قواده وهو أخوه مسلمة بن عبد الملك[١] لحربه وقتاله في البصرة وسط مركز قوة المهالبة وقتل يزيد بن المهلب في معركة العقر[٢] سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م[٣]، وتولى أمر المهالبة أكبرهم المفضل بن المهلب وأراد أن ينجو بمن بقى منهم إلى قندابيل[٤] ببلاد السند، وبعث مسلمة أحد قواده وهو مدرك بن ضب الكلبى في أعقابهم، فأدرك المفضل ومن اجتمع إليه، فقاتلوه قتالا شديدا، فقتل من أصحاب المفضل جماعة، وطلب بعض من معه الأمان، ومضى آل المهلب إلى قندابيل لبعدها عن مركز الخلافة الأموية في دمشق، ورد مسلمة مدرك بن ضب؛ وأرسل في أثرهم قائدا آخر يدعي هلال بن أحوز التميمى فلحقهم هلال بقندابيل، وهناك نصب راية أمان، فتفرق الناس عن آل المهلب، وتقدموا هم بأسيافهم، فقاتلوا حتى قتلوا عددا كبيرا منهم زعميهم المفضل، ومروان بنو المهلب، ومعاوية بن يزيد بن المهلب، وكثير من آل المهلب، وحملت رءوسهم؛ وبعث هلال بالرؤوس والنساء الأسرى من آل المهلب إلى مسلمة بن عبد الملك وهو بالحيرة، فبعثهم إلى يزيد ابن عبد الملك، وأرسلهم الخليفة إلى واليه على حلب وأمره بنصب رؤوسهم[٥] فكان ذلك جزاء خروجهم على الطاعة

=النويري:نهاية الأرب ج٢١، ص٣٨٤.

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٨، ص٣١٥.

(٢) قرية يقال لها عقر بابل، وهي عند الكوفة بالقرب من كربلاء بالعراق (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص١٣٦).

(٣) ابن قتيبة: المعارف، ص ٣٦٤.

(٤) قندابيل: إحدى مدن بلاد السند وعاصمتها الندهة وهي مناطق في بلاد باكستان حاليًا (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٠٢)

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٦، ص٦٠١-٦٠٢؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص٣٨٩-٣٩٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٧٢٧، ٧٢٨.

واستخفافهم بالبيت الحاكم.

٤ـ التشفي من المقتولين.

لقد عرف المشركون إبانة الرؤوس والتشفي من المقتولين ولنأخذ على ذلك مثلا بيوم الرجيع[١] حين قتل الصحابي عاصم بن ثابت بن قيس[٢]، أرادت هذيل[٣] أخذ رأسه، ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد، وهي أم مسافع وجلاس ابني طلحة العبدري[٤] وكانت قد

(١) يرجع يوم الرجيع إلى العام الرابع للهجرة وقصته أن هناك أناساً من قبائل عضل والقارة ـ وهما فيما يشبه اتحاد قبائل ـ قدموا على رسول اللهﷺ فكلموه، ليخرج إليهم نفرا من أصحابه يدعونهم إلى الإسلام فبعث النبي معهم سبعاً من أصحابه منهم زيد بن الدثنة، ومرثد بن أبي مرثد، وخبيب بن عدي، فخرجوا حتى إذا كانوا بماء لهذيل– يقال له الرجيع، ظهرت خيانة تلك القبائل فاستصرخوا أصحابهم الذين اتفقوا معهم على أخذ المسلمين، فلم يرع أصحاب محمد ﷺإلا بالقوم، مائة رام وفي أيديهم السيوف، فسل أصحاب النبي ﷺأسيافهم ثم قاموا، فقال العدو: ما نريد قتالكم، وما نريد إلا أن نصيب منكم من أهل مكة ثمنا، ولكم عهد الله وميثاقه لا نقتلكم، فرضخ أناس منهم، وقاتل أناس منهم حتى قتلوا ، ثم باعوا اثنين منهم لأهل مكة فقتلوهم فتبين خيانة تلك القبائل لرسول الله ﷺ.(الواقدي: المغازي،ج١، ص٣٥٤، ٣٥٥.

(٢) يكنى عاصم أبا سليمان آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الله بن جحش. وشهد عاصم بدرا وثبت يوم أحد مع رسول اللهﷺ حين تخاذل الناس وبايعه على الموت، وكان من الرماة المذكورين من أصحاب رسول اللهﷺ، قتل يوم الرجيع بعد رفضه جوار المشركين فقال إني نذرت أن لا أقبل جوار مشرك أبدا، (ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣، ص٤٦٢ـ ٤٦٣؛ ابن أبي شيبة: أبو بكر، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م: المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩/ ١٩٩٠م، ج٧، ص٩٧)

(٣) من قبائل الحجاز الكبيرة والمهمة التي تنقسم إلى أفخاذ عديدة (عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م، ج٣، ص١٢١٣)

(٤) ابن حجر: فتح الباري ج٧، ص٣٨٤.

نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد: لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه[١] الخمر، فمنعه النحل . فلم يدن إليه أحد إلا لدغ وجهه، وجاء منها شيء كثير لا طاقة لأحد به فلما حالت بينه وبينهم [الدبر] قالوا: دعوه يمسي فتذهب عنه، فنأخذه. فبعث الله الوادي، فاحتمل عاصما، فذهب به. وقد كان عاصم قد أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشرك، ولا يمس مشركا أبدا، ولما بلغ عمر خبره كان يقول: يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته، وإنما استجاب الله له في حماية لحمه من المشركين ولم يمنعه من قتله لما أراد الله من إكرامه بالشهادة ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه [٢]، وهذا إن دل فإنما يدل على أن الصحابة كانوا من أهل الكرامات ومن أولياء الله الصالحين الذين قال الله فيهم ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يونس: ٦٢]

كما ظهر التشفي من المقتولين وإبانة رؤوسهم نكاية لما أحدثوه في قتل الحسين فقد تتبع المختار بن أبي عبيد الثقفي[٣] قتلة الحسين ومن أعان عليه فقتلهم وأبان رؤوسهم كان

(١) القحف: العظم الذي فوق الدماغ من الجمجمة، وقيل: قحف الرجل ما انفلق من جمجمته فظهر وبان (ابن منظور: لسان العرب، ج٩، ص٢٧٥)

(٢) الواقدي: المغازي، ج١، ص٣٥٦؛ ابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت: ٢١٣هـ/٨٢٨م) السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م، ج٢ ص١٧١؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٢، ص٥٣٩ .

(٣) ولد المختار عام الهجرة، لكن لم يكن له صحبة ولا رواية، أبوه من الصحابة وكان قائد معركة الجسر١٣هـ وقتل بها، كانت عين المختار تتطلع للسلطة، فانضم للخوارج، ثم صار زبيريا، ثم صار شيعيا وطالب بدم الحسين وكان يدعو إلى محمد بن الحنفية ويزعم أنه من أصحابه له أخبار عديدة في كتب التاريخ قتل على يد مصعب بن الزبير سنة٦٧هـ(للمزيد سبط بن الجوزي: شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي (ت: ٦٥٤ هـ/١٢٥٦م): مرأة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد رضوان عرقسوسي، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣ م، ج٤، ص١٤٦٥؛ سبط بن الجوزي: مرأة الزمان في تواريخ الأعيان ج٨، ص٤٢٠- ٤٢٨)

منهم عمر بن سعد بن أبي وقاص فقد بعث المختار أحد أتباعه وأمره أن يأتيه به، فجاءه حتى دخل عليه فقال: أجب الأمير، فقام عمر: فعثر في ثوب له، ويضربه أمير حرس المختار بسيفه إلى أن قتله، وجاء برأسه في ثوب له حتى وضعه بين يدي المختار، فقال المختار لابنه حفص بن عمر بن سعد وهو جالس عنده: أتعرف هذه الرأس؟ فاسترجع وقال: نعم، ولا خير في العيش بعده، قال له المختار: صدقت، فإنك لا تعيش بعده، فأمر به فقتل، وإذا رأسه مع رأس أبيه ثم إن المختار قال: هذا بحسين وهذا بعلي بن حسين الأكبر، ولا سواء، والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أنملة من أنامله، ثم بعث المختار برأسيهما إلى محمد ابن الحنفية وكان ذلك سنة (٦٦هـ/٦٨٥م)[١].

لقد واصل المختار عملية التشفي والانتقام التي بدأها فبعث إبراهيم بن الأشتر [٢] في عشرين ألفا إلى عبيد الله بن زياد سنة ٦٧هـ/٦٨٦م فقتله وأبان رأسه وبعث بها إلى المختار فعن عمارة بن عمير، قال: قال: لما جيء برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه نضدت[٣] في المسجد في الرحبة فانتهيت إليهم وهم يقولون: قد جاءت قد جاءت، فإذا حية قد جاءت تخلل الرؤوس حتى دخلت في منخري عبيد الله بن زياد فمكثت هنيهة، ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت، ثم قالوا: قد جاءت، قد جاءت، ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثا[٤].

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٦، ص٦١؛ ابن كثير: البداية والنهاية ج١٢، ص٢٧.

(٢) يعد إبراهيم بن الأشتر من الشجعان المعدودين انضم إلى المختار بن أبي عبيد الله الثقفي، وحارب عبيد الله بن زياد فهزم جيشه وانتصر عليه وقتله، وكان في معسكر مصعب بن الزبير ضد عبد الملك بن مروان وأراهم من ضروب الشجاعة والبسالة الكثير إلى أن تكالب عليه جند الشام فقتلوه في معركة دير الجاثليق(ابن حمدون: محمد بن الحسن، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م). التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ج٢، ص٤٠٨؛ سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج٩، ص٢٩).

(٣) نضد أي جعل بعضه فوق بعض مرتبًا (ابن منظور: لسان العرب ج٣، ص٤٢٣).

(٤) الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ/٨٩٢م) سنن الترمذي، أبواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المناقب، باب: مناقب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب والحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما،=

وإذا كان إسناد هذا الحديث صحيحًا، فإن متن الحديث لا يمر علينا دون نظرة فيه، وبصفة خاصة في هذا الأمر المستغرب، وهو دخول الحية أنف عبيد الله بن زياد ومكوثها بداخلة، فهو في الحقيقة أمر يصعب على العقل استيعابه، لكن بمقاييس الكرامة التي تحدث إكراماً للأولياء نصدق أن الحية تأتي إلى رأس ابن زياد وتقف عنده، بل وتدخل في منخره ورأسه، خاصة وأن ما حدث كان من باب المشاهدة، وهذا من باب معاقبة الله لمن قتل أولياءه وبغى عليهم.

ثم بعث برأس ابن زياد إلى محمد بن على بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية وعلي بن الحسين وبني هاشم، فلما رأى علي بن الحسين رأس عبيد الله ترحم على الحسين وقال: أتي عبيد الله بن زياد برأس الحسين وهو يتغدى، وأتينا برأس عبيد الله ونحن نتغدى [١].

وانظر إلى ما عقب به ابن كثير على حوداث القتل والقطع التي حدثت لقتلة الحسين فقال: ولا شك أن قتل قتلته كان متحتمًا، والمبادرة إليه كان مغنما، ولكن قدره الله على يد المختار الكذاب...، وقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» [٢] وقال تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٩]" [٣]

وقد كان أمر التشفي والانتقام ليس قاصرا على الدولة التي تحارب من يخرج عليها فحسب بل تعدى ذلك إلى الأشخاص أيضا من ذلك ما حدث للنعمان بن بشير [٤] حين كان

=تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٩٩٨م، ج٦، ص١٢٦، عقب عليه الترمذي فقال: حديث حسن صحيح.

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج٥، ص١٠٠.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر)، حديث رقم ٢٨٩٧، ج٣، ص١١١٤.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ج١٢، ص٢٨.

(٤) النعمان بن بشير بن سعد الخزرجي، وأمه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة، وكان أول مولود من الأنصار ولد بالمدينة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولي الكوفة=

واليا لحمص لصالح عبد الله بن الزبير فلما بلغ النعمان الهزيمة يَوْم مرج راهط (٦٤هـ /٦٨٤م) ومقتل الضحاك بْن قَيْس الفهري[١]، أحد أهم المؤيدين لابن الزبير خرج ليلا هاربًا من حمص يريد الْمَدِينَة، فطلبه أهل حمص وَكَانَ الَّذِي تبعه وجد فِي طلبه رجل من الكلاعييْن كَانَ النعمان حده فِي الخمر ومعه غوغاء أهل حمص، فلحقه فقتله واحتز رأسه في نفس العام[٢].

كما كان عبيد الله بن زياد بن ظبيان البكري[٣] ممن صحب القائد مصعب بن الزبير بل كان من جملة رجالة إلى أن قتل الأخير أخاه، فتغير عليه وتركه وانضم إلى الجانب المناوئ لمصعب وظل يحمل هذا الأمر في صدره إلى أن حان له الانتقام والتشفي لأخيه من مصعب فاحتز رأسه في الحرب التي دارت بينه وبين عبد الملك بن مروان في دير الجاثليق

=لمعاوية بن أبي سفيان وأقام بها ثم عزله معاوية بن أبي سفيان فصار إلى الشام، وبعد موت يزيد بن معاوية دعا النعمان لابن الزبير، وكان عاملا له على حمص وتم قتله علي يد أهل حمص (ابن سعد الطبقات الكبرى ج٦، ص٥٣، ٥٤)

(١) هو الضحاك بن قيس بن وهب الفهري، ولد في حياة رسول الله ﷺ وقبض وكان لا يزال صغيرا، ولاه معاوية الكوفة بعد زياد بن أبي سفيان، وبعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية واختلاف الناس في أمر الخلافة وظهور ابن الزبير انضم الضحاك إلى جانبه ودعا له، فولاه ابن الزبير ولاية الشام إلا أن الأمويين جمعوا أمرهم تحت قيادة مروان بن الحكم وقاتلوا الضحاك وانتصروا عليه وقتلوه سنة ٦٤هـ في معركة مرج راهط (ابن سعد: الطبقات الكبرى ج٧، ص٤٠٩- ٤١٠؛ ابن قتيبة: المعارف ص٤١٢).

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج٦، ص١٢٢؛ البلاذري: أنساب الأشراف ج٦، ص٢٨٣؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٥، ص٥٣٩.

(٣) عبيد الله بن زياد بن ظبيان البكري، من القادة الشجعان، كان مقربا من عبد الملك بن مروان، له عليه جرأة، دخل تحت لواء عبد الملك في حربه ضد مصعب ابن الزبير، وهو الّذي قتل مصعبا وحمل رأسه إلى عبد الملك، ثم خرج على الحجاج وانضم إلى الخوارج، ثم هرب إلى عمان ولجأ إلى سعيد الجلندي الأزدي، فخاف على ملكه، فدس له السم في بطيخة فمات سنة ٧٥هـ/٦٩٤م(ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج٣، ص٤٢٩؛ الزركلي: الأعلام، ج٤، ص١٩٣)

سنة(٧١هـ/٦٩٠م)[١].

ولا يفوتنا أن ننبه إلى أن سياسة الانتقام والتشفي استمرت مع قدوم الدولة العباسية وتنكيلها بكل من كان سببا في قتل المعارضين للدولة الأموية من البيت العلوي، وقد وجدنا هذا الأمر عند دخول العباسيين إلى خراسان وتخلصهم ممن ساهم وحرض على قتل يحيى بن زيد العلوي[٢].

وقد وضح التشفي عند التخلص من الخليفة الأخير للدولة الأموية فبعد هزيمة مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ/ ٧٤٤ -٧٤٩م) في موقعة الزاب وألجأوه إلى قرية بوصير من أعمال مصر فتتبعه العباسيون فقتل وقطعت رأسه على يد عامر بن إسماعيل - أحد بني الحارث بن كعب - وهو قائد مقدمة جيش صالح بن على العباسي[٣] وأرسل الرأس بدوره إلى صالح، وبعثها صالح مع يزيد بن هانئ إلى أبي العباس السفاح سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م)[٤] وبعد وصول الرأس إلى أبي العباس سجد وقال: الحمد لله ألذي أظفرني وأظهرني عليك، ثم قال: قتلت مروان بأخي إبراهيم[٥].

الجدير بالذكر أن نساء مروان وبناته، سيرن إلى صالح بن علي، فلما دخلن عليه

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ج٥، ص٤٦٣؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٦، ص١٥٩، ١٦٠.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ج٣، ص٢٦٣؛ اليعقوبي: أحمد بن إسحاق أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، (ت: بعد ٢٨٤هـ /٨٩٧م)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، د.ت، ص١٣٦.

(٣) صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، عم الخليفة السفاح والمنصور، ولد بالشراة من أرض البلقاء من أعمال دمشق سنة ٩٦هـ/٧١٥م، أخذ مصر للعباسيين، له صائفة مع الروم استطاع فيها أن يقتل ويغنم، وتولي حمص وقنسرين ومات وهو على ولاية تلك البلاد سنة ١٥١هـ/٧٦٨م(ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢٣، ص٣٥٧- ٣٥٩؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ج١٦، ص١٥٣)

(٤) مسكويه: تجارب الأمم ج٣، ص ٣٣٠، ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٥٧، ص٣٤٤، ٣٤٥.

(٥) المسعودي: مروج الذهب ج٣، ص٢٥٧، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥، ص٢٠.

تكلمت إحدى بنات مروان، فقالت: يا عم أمير المؤمنين! حفظ الله لك من أمرك ما تحب حفظه، نحن بناتك وبنات أخيك، وابن عمك فليسعنا من عفوكم ما وسعكم من جورنا، قال: والله لا أبقي على أحد منكم، وأخذ يعدد مثالب بني أمية فما الذي يحملني على الإبقاء عليكن؟ وعلى الرغم من نجاح نساء مروان في أخذ العفو منه، فإنه يظهر لنا مدى الغيظ الذي كان يكنه العباسيون للدولة الأموية(١).

(١) ابن طيفور: أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر(ت: ٢٨٠هـ/٨٩٣م): بلاغات النساء، صححه وشرحه: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، ١٣٢٦ هـ – ١٩٠٨م، ص١٤٥؛ النويري: نهاية الأرب ج٢٢، ص٤٩.

المبحث الثاني: الأعطيات ودورها في القتل والإبانة.

لقد كان العطاء بابًا مهمًا من أبواب الصرف في الدولة الإسلامية وضع له المسلمون أسسًا وقواعد يقوم عليها، وكان بعض الخلفاء والقادة يغدقون المنح المالية والجوائز لمن يأتون إليهم بالأخبار السارة، وكان البعض منهم يجعلون مكافأة كبيرة لمن يأتي بالرؤوس وخاصة رؤوس الخارجين على الطاعة [١].

١ـ العطايا لمبيني الرؤوس وحامليها.

وقد بدأ هذا الأمر قديما فنري سلافة بنت سعد رصدت جائزة ضخمة قدرها مائة ناقة لمن يأتي برأس عاصم بن ثابت[٢]، وقد حاول الكثيرون الفوز بهذا الأمر والاتيان برأسه إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك لحماية الله له.

وقد وجدنا أن القادة كانوا يفرضون العطايا والمنح لتحقيق النصر وشحذ همم الجنود للحرب مثلما فعل جرجير حين جعل المكافأة لمن يأتي برأس عبد الله بن سعد بن أبي السرح الزواج من ابنته وتقديم الحلي والخدم وإنزاله المنزلة الكبيرة التي لا يدانيها منزلة[٣].

وبالنظر في تلك الأحداث لا نستبعد حدوث هذا الأمر فمن يستطيع قتل قائد المسلمين يكون جديرًا بتزويجيه ابنته هذا أمر، الأمر الآخر أن جرجير لو تعرض للهزيمة ستصبح ابنته

---

(١) الجدير بالذكر أن ملوك الدول القديمة كانوا يكسبون ولاء محارييهم بتقسيم جزء كبير من الغنائم بينهم، وكان الجنود يكافئون تقديرا لشجاعتهم وبسالتهم على كل رأس مقطوع يحملونه من ميدان القتال، ولهذا كانت تعقب المعركة في أغلب الأحيان مجزرة تقطع فيها رؤوس الأعداء لينال الجندي الحظوة والجائزة إلى جانب افتخاره بالنصر (ويل ديورانت: قصة الحضارة، ج٢، ص٢٧٤).

(٢) الواقدي: المغازي، ج١، ص٣٥٦؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى ج٥، ص٤٦٢.

(٣) أبو بكر المالكي (ت:٤٥٣هـ/ ١٠٦١م): رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير البكوش، راجعه: محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٤ هـ -١٩٩٤م، ج١، ص٢٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج٢، ص٤٦٣.

جارية من الجواري يغنمها أحد المسلمين وهو ما حدث بالفعل، فما المانع أن تكون لشخص ذى نجدة وبأس من الروم إضافة إلى شحذ همم الجنود والقادة للقتال.

وتجدر الإشارة إلى أن رأس الحسين أرسلت مع خولي بن يزيد الأصبحي وحميد بن مسلم الأزدي إلى ابن زياد وعقب وصولهما قصر الإمارة وجداه مغلقًا فرجع خولي بالرأس إلى داره وعندما سألته امرأته عن الأمر قال جئتك بغنى الدهر(١)، وتأسيسا على ذلك، فهذا القول يدل على أنه سيجزل له العطاء من قبل الوالي.

ويبدو أنه كان للعطاء دور في جذب الأتباع واستبسالهم في خدمة من يقدمون الدعم لهم؛ من ذلك ما حدث حين قتل الضحاك بن قيس يوم معركة مرج راهط، فقد قتله رجل من قبيلة كلب يقال له زحنة بن عبد الله(٢)، وعلى ما يبدو أنه كان لا يعرفه، فمر رجل فنظر إلى المقتول فإذا هو الضحاك بن قيس، فأخذ رأسه وأتى بها إلى مروان بن الحكم، فقال: أنت قتلته؟ فقال: لا، ولكن قتله زحنة بن عبد الله الكلبي، فأعجبه صدقي إياه، وتركي ادعاءه، فأمر لي بمعروف، وأحسن إلى زحنة(٣). والإحسان والمعروف يشمل المنح المالية والجوائز القيمة التي يحصل عليها الشخص.

الجدير بالذكر أن مصعب بن الزبير أثناء قتاله للمختار بن أبي عبيد الله الثقفي استطاع أخوان من بني حنيفة هما (طريف وطراف) أن يقتلا المختار ويأتيا برأسه لمصعب، فكانت مكافأة الأخير لهما أن أعطاهما ثلاثين ألفا(٤) ويظهر أن مصعبًا كان غير أخيه عبد الله

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٥، ص٤٥٥؛ النويري: نهاية الأرب ج٢٠، ص٤٦٣.

(٢) الدارقطني: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي (ت: ٣٨٥هـ/٩٩٥م) المؤتلف والمختلف، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ج٢، ص٩٨٨.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٥، ص٥٣٨؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج١٨، ص٤٤٧، النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص٨٩.

(٤) خليفة بن خياط: أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني البصري (ت: ٢٤٠هـ/٨٥٤م): تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ، ص٢٦٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٥٤٣.

الذي كان حريصا على أموال الدولة وعلى وجوه إنفاقها، وكان من نتيجة هذا الضيق انفضاض الناس عن دولة ابن الزبير والقضاء عليها، ولو أنفق ابن الزبير وتحبب إلى الناس ببعض الأموال لكان لدولته شأن آخر(١).

لقد كان إرسال الرأس دليلاً تاماً على الولاء بالنسبة للخلافة بل وإرضاء الخليفة؛ من ذلك ما حدث عندما أرسل الخليفة عبد الملك بن مروان إلى الوالي على خراسان عبد الله بن خازم(٢) الذي كان يدين بالولاء لعبد الله بن الزبير يعرض عليه أمر الطاعة في مقابل أن يلي أمر خراسان سبع سنوات على الأقل أي أنه أطمعه في ولاية خراسان لكن عبد الله لم يكن قارئا جيدا للأحداث فرفض الأمر مما حدا بعبد الملك أن يرسل إلى أحد أتباع ابن خازم ومناه بالأمر، وبالفعل خلع بكير بن وساج(٣) البيعة لابن الزبير وبايع عبد الملك وتوجه لمحاربة

(١) تتحدث المصادر أن مصعب بن الزبير بعد نجاحه في القضاء على المختار الثقفي ذهب إلى أخيه مع وجوه أهل العراق وتحدث معه عن أهل العراق وأنهم سارعوا إلى بيعته وساهموا في القضاء على عدوه، وأن عليه أن يعطيهم من المال ليجذب قلوبهم وليظلوا على ولائهم ومحبتهم، لكن عبد الله أبي هذا الأمر وأقسم ألا يعطيهم من مال الله بدون وجه حق، وكان هذا سببا من أسباب انصراف الناس عن مصعب وممالاتهم، وتحويل وجهتهم إلى عبد الملك بن مروان على حساب عبد الله بن الزبير(ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، ج٢، ص١٩٩؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥، ص١٥٤).

(٢) عبد الله بن خازم السلمي أصله من البصرة، يقال له أبو صالح البصري، كان رجلا مشهورا بالشجاعة والحزم، تولى إمارة خراسان من قبل الزبيريين بعد موت يزيد بن معاوية وولده معاوية وخاض فيها حروبا عديدة حتى تم له الأمر ومكث بها ما يقارب العشر سنوات قيل أنه كانت له صحبة برسول الله ﷺ وأنه كان يلبس عمامة ادعى أن رسول الله هو من البسها إياه وهذا الكلام فيه نظر كما قال العلماء قتل الرجل كما وضحنا في فتنة خراسان على الراجح سنة ٧٢هـ/ ٦٧١م(للمزيد: ينظر ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٢٢٢؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة ج٤، ص ٦١، ٦٢).

(٣) يعد بكير بن وساج أحد أعوان عبد الله بن خازم، ولي على خراسان بعد مقتل ابن خازم، إلا=

عبد الله بن خازم فخاف الأخير مما حدث خاصة وأنه كان في حرب وصراع مع بحير بن ورقاء[١] خارج مرو وفي أثناء محاولته الذهاب لولده بترمذ[٢] استطاع بحير قتله، وأرسل على وجه السرعة رسولا إلى عبد الملك يعلمه بالوضع وبأن الله قد خلصه من ابن خازم دون أن يرسل برأسه مع الرسول، ولعله كان يطمع في ولاية خراسان، وفي تلك الأثناء دخل بكير إلى مرو واختلف هو وبحيرا حول رأس عبد الله بن خازم لدرجة أن بكير حبس بحيرا في هذا الأمر وأرسل إلى عبد الملك برأس بن خازم وأنه هو من قضى عليه وقتله[٣].

من هذا يتبين لنا أن وجود الرأس كانت دليلا قويا على القضاء على الخصوم السياسيين على سبيل الحقيقة، وأن إرسالها كان يقطع كل شك مثلما حدث، بل كانت داعمة لتولي الإمارة على البلدان.

وتتوالى الأحداث وتدور الدائرة على دولة عبد الله بن الزبير ويقتل ويوفد الحجاج بن يوسف الرجلين الذين قتلاه إلى عبد الملك بن مروان فيعطي كل واحد منهما مكافأة خمسمائة دينار، ويفرض لكل واحد منهما مائتي دينار كل شهر جزاء صنيعهما لقتل ابن الزبير وحمل رأسه،

=أنه لم يمكث كثيرا حتى عزل عن خراسان بسبب الخلاف الذي وقع بينه وبين بحير بن ورقاء، وكلاهما من بني تميم، وقد ظل بجير بين ورقاء يكيد لبكير لدى والي خراسان أمية بن عبد الله حتى أدى الأمر في النهاية إلى قتله سنة ٧٧هـ/٦٩٦م وكان ذلك كما ذكرت المصادر بسبب تمرده الدائم (ابن الأثير: الكامل ج٣، ص ٤٧٣- ٤٧٤.؛ النويري: نهاية الأرب ج٢١، ص٢٢٤- ٢٢٧.) .

(١) بجير بن ورقاء التميمي البصري أحد أهم القواد في خراسان وأحد الذين تولوا قتل عبد الله بن خازم، وحرض على قتل بكير فأضمرها له أهل بكير حتى واتتهم الفرصة فقتلوه سنة ٨٢هـ، صحب المهلَّب بن أبي صفرة في بعض غزواته (الذهبي: تاريخ الإسلام: ج٢، ص٩٢٦؛ الزركلي: الأعلام ، ج٢، ص٤٤).

(٢) مدينة مشهورة من أمهات المدن في أوزبكستان، قريبة من الحدود الأفغانية، وتقع على نهر جيحون من جانبه الشرقي (ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج٢، ص٢٦؛ يحى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص٤١١).

(٣) الطبري: تاريخ الرسل ج٦، ص١٧٦- ١٧٧؛ مسكويه: تجارب الأمم ج٢، ص٢٤٩، ٢٥٠.

وبالطبع كان مع رأس ابن الزبير رؤوس أخرى من أعوانه وممن ساانده [١].

بل تجد أن القبائل كانت تتقرب برؤوس الخارجين عن الطاعة إلى الخلفاء كدليل على الولاء والتبعية ورغبة في زيادة العطاء، فهذه قبيلة عنزة[٢] حين نزل قريبًا منها فضالة بن سنان بن سيار التيمي أحد زعماء الخوارج ورجاله هاجموه وقتلوه هو ومن معه وحملوا رأسه ورؤوس أصحابه إلى عبد الملك بن مروان سنة (٧٦ هـ/٦٩٥م) فأكرمهم وأنزلهم بانقيا[٣] وزاد في عطائهم وكانوا يأخذون عطاء قليلاً[٤].

بل كان يحدث أن يختصم الناس على الرأس كي ينالوا الحظوة والجائزة؛ من ذلك اختصامهم في رأس قطري بن الفجاءة الخارجي، فقد اختصم في رأسه سورة بن الحر التيمي، وباذام مولى عبد الرحمن بن الأشعث وغيرهم، فقد كانوا يطلبون قطريا فوجدوه قائما يصلي وقد نزف دمه وضعف، فقال لهم: أنا الذي تطلبون، فقال سورة لباذام إن شئت أتيته أنا من بين يديه وأتيته أنت من خلفه، وإن شئت فأنا آتيه من خلفه وأنت من بين يديه، فتلقاه سورة من بين يديه، وأتاه باذام من خلفه فقتلاه، واحتزا رأسه سنة٧٨هـ/٦٩٧م [٥]، واختلفوا في حمل رأسه، فقال رجل من الجند: ضعا رأسه على يدى حتى تتفقا، فوضعاه على يده فطار بالرأس إلى سفيان بن الأبرد[٦]، فأوفده الى الحجاج، فأعطاه عشرة آلاف درهم (ثم قدم باذان على

(١) البلاذري: أنساب الأشرف ج٧، ص١٢٨ـ ١٣٤؛ ابن الأثير: الكامل ج٣، ص٤٠٥.

(٢) عنزة بطن من أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، ومن برية العراق وسكانها (القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٩م) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبنانيين، بيروت ط٢، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م، ص٣٧٨)

(٣) قرية من نواحي الكوفة قريبة من مدينة النجف (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٣١)

(٤) الطبري: تاريخ الرسل ج٦، ص٢٢٤؛ النويري: نهاية الأرب ج٢١، ص١٦٥؛ ابن خلدون: العبر ج٣، ص١٩١.

(٥) البلاذري: أنساب الأشرف ج٧، ص٤٤٠ـ ٤٤١.

(٦) هو أبو يحيى سفيان بن الأبرد بن أبي أمامة بن قابوس الكلبي، كان مع يزيد بن معاوية في غزو القسطنطينية، مال هواه لبني أمية في فتنة ابن الزبير، ولى بعض الشام لبني أمية، له=

الحجاج فصدقه، وأعطاه أربعة آلاف درهم) وأمر لسورة بعشرة آلاف درهم(١).

وممن جعل مكافأة كبرى للإتيان بالرأس الخليفة يزيد بن الوليد بن عبد الملك الذي قرر صرف مكافأة كبيرة لمن يأتي برأس الخليفة السابق عليه وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك وكان قدرها مائة ألف درهم، وعندما أبينت رأس الوليد سنة١٢٦هـ/٧٤٣م جاء عشرة رجال برأسه فأعطى الخليفة الجديد كل واحد منهم عشرة الآف درهم مكافأة لهم(٢).

٢ـ رفض العطايا ومنعها.

وقد يمتنع الخليفة أو الوالي عن إعطاء مكافأة أو منحة إما لعدم رضاه عما حدث مثل ما فعل يزيد بن معاوية فيمن أتي إليه بالبشارة بمقتل الحسين وقطع رأسه وما فعل بمن معه بكربلاء (٣)، وذلك بسبب حزنه الشديد على تلك النتيجة غير المتوقعة ولذلك أمر بإرجاع العلويين إلى المدينة والمبالغة في إكرامهم(٤).

وكذلك عندما امتنع عبيد الله بن زياد عن إعطاء أحد أهل الكوفة مكافأة لإتيانه بأولاد عبد الله بن جعفر بعد أن أمر عمر بن سعد مناديا فنادى: من جاء برأس فله ألف درهم، فجاء هذا الرجل إلى امرأته فقالت له: إن غلامين لجآ إلينا فابعث بهما إلى أهلهما بالمدينة، فلما رآهما قتلهما وجاء بهما إلى عبيد الله بن زياد، فلم يعطه ابن زياد شيئا، فقال عبيد الله: وددت أنه كان جاءني بهما أحياء فمننت بهما على والدهما عبد الله بن جعفر، وبلغ ذلك عبد الله ابن جعفر، فقال: وددت أنه كان جاءني بهما يعني أحياء فأعطيته ألفي ألف(٥)،

=باع في محاربة الخوارج، مات سنة أربع وثمانين أو سنة خمس وثمانين (ابن عساكر: تاريخ دمشق،ج٢١، ص٣٤١، ٣٤٢).

(١) أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل بن مهران (ت: نحو ٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م) الأوائل، دار البشير، طنطا، ط١، ١٤٠٨ هـ، ص٣٦٨.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ج١٣، ص١٨١

(٣) الطبري: تاريخ الرسل ج٥، ص٤٥٩ـ ٤٦٠؛ ابن الأثير: الكامل ج٣، ص١٨٧. .

(٤) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥ ،١٩٦٨م، ص ١٢٨.

(٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى: الجزء المتمم لطبقات ابن سعد [الطبقة الخامسة وهم أحداث=

وعلى ما يبدوا أنه كان هناك صلة أو صداقة بين عبيد الله بن زياد وعبد الله بن جعفر تجعله يحزن لقتل أولاده، ورفض منح العطية لمن قتلهم.

وقد يعطى الخليفة الجائزة على المجيء بالرأس فيأبى صاحبها أخذ المكافأة كما فعل عبيد الله بن زياد بن ظبيان حين أبان رأس مصعب بن الزبير ووضعها بين يدي عبد الملك بن مروان فأعطاه ألف دينار فأبى أن يقبلها لا لقلتها ولا كثرتها، بل لأنه إنما قتل مصعب لغرض في نفسه ألا وهو الانتقام منه لقتله أخاه النابئ بن زياد، فقال: إنما قتلته لما فعله بي، فلا آخذ في حمل رأسه مالا [1].

=الأسنان]، ج١، ص٤٧٨؛ المقريزي: تقي الدين أحمد بن على (ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤٠م) المقفى الكبير تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ج٣، ص٣٣٦.

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص٢٢٨، البلاذري: أنساب الأشراف ج٥، ص٤٦٣؛ ابن الجو زي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٦، ص١١٢.

المبحث الثالث: نصب الرؤوس وحفظها.

١ـ نصب الرأس وحراستها.

لقد كان هناك أهمية كبيرة لنصب الرأس بعد إبانتها لكي يراها الناس، ولتهدأ ثائرة من يريد الحديث أو التمرد والثورة بعد ذاك الأمر، وقد عرف نصب الرؤوس وتعليقها في الأمم السابقة والإمبراطوريات الكبيرة، فنجد أن الثورات التي كانت تقام على العرش في الإمبراطورية البيزنطية والخلافات السياسية تنتهي في الغالب بقطع الرؤوس وتعليقها أمام الشعب ورمي الجثث في البحار(١).

وعرف المسلمون هذا الأمر من الأمم السابقة ونفذوه في نطاق ضيق أثناء خلافاتهم السياسية، فهذه أسماء بنت أبي بكر ﵂ يمنعها الحجاج بن يوسف من مواراة جثة ولدها بعد قتله، وصلب الجثة أمام الناس، فدعت عليه فقالت: قاتله الله يحول بيني وبين جثة ولدي أن أواريها، ومن هذا القول ندرك أن الحجاج قد قام بحراسة الجثة خوفا من دفنها إلى أن أذن عبد الملك بدفنها (٢).

وقد حدث أمر النصب والصلب في قطع رأس الخليفة الوليد بن يزيد وقد كان أهل دمشق قد تكلموا وغضبوا من هذا الأمر، فلما نصبت لهم الرأس سكنوا ولم يجرؤ أحد منهم على التمرد أو الحديث (٣)، وقد كانت مسألة النصب تبقى على قدر الحاجة إليها، وتدفن بعد أخذ الغرض منها.

واستنادا إلى ما سبق يلاحظ أن: الرأس أو الجثة كان يوكل بها من يحرسها ويقف عندها حتى لا ينزلها ويواريها أحد، بل كان يتناوب على حراستها وخاصة إذا كانت من الشخصيات المهمة، وقد استمر هذا الأمر أيام الدولة العباسية، وقد وكل برأس أحد

---

(١) ويل ديورانت: قصة الحضارة، ج١٤، ص١٥٣.

(٢) ابن سعد: الجزء المتمم لطبقات ابن سعد [الطبقة الخامسة وهم أحداث الأسنان]، ج٢، ص١١٠؛ ابن عساكر تاريخ دمشق، ج٢٨، ص٢٢٩.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف ج٩، ص١٨١؛ الطبري: تاريخ الرسل ج٧، ص٢٥٠.

الخارجين على الدولة من يحرسها [١].

بل انظر إلى عبد الملك بن مروان حين تم القضاء على حركة ابن الزبير أمرهم إذا مروا على المدينة أن ينصبوا الرؤوس بها، وبالفعل بعث الحجاج برأس عبد الله بن الزبير ومن معه إلى المدينة، فنصبوها للناس، ثم بعث برؤوسهم إلى عبد الملك بن مروان في الشام[٢].

ولننظر إلى آل المهلب حين أمر الخليفة يزيد بن عبد الملك بتعليق رؤوسهم بعد القضاء عليهم حيث نصبت في حلب[٣].

٢ـ إصلاح الرأس وحفظها.

كان لا بد من طريقة لإصلاح وحفظ الرؤوس، لأنه من المحال أن تبقى هذه الرؤوس على حالها تلك المدة الطويلة التي تنصب وتسافر بها، فكان لابد من تلك الطريقة التي تحفظ بها الرأس وتبقى على حالها وشكلها أمام الناس أطول فترة ممكنة، فقد لوحظ في البداية أن أي خلل يحدث في الوجه سواء كانت ضربة بسيف أو غيرها لا بد من إصلاحها حتى يبقى الشكل كما هو.

فقد ضُرب الخليفة الوليد بن يزيد على وجهه وأبينت رأسه ومن قام بذلك أتى بخيط فخاط به الضربة التي في وجهه قبل حمله إلى الخليفة الجديد [٤].

وجدير بالذكر أن الرأس بعد إبانتها لا تمكث إلا أياما عديدة تتغير معالمهما ويفسد لحمها؛ ولذلك كان لا بد من وسيلة للحفاظ على تلك الرؤوس أطول فترة ممكنة، وبالرجوع إلى المصادر وجدنا أن المادة التي تتحدث عن هذا الأمر قليلة وشحيحة، ومن خلال الاشارات

(١) الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، ت٤٦٣هـ/١٠٧١م. تاريخ بغداد، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢ م، ج٦، ص٣٩٧؛ النويري: نهاية الأرب ج٢٢، ص٢٦٨.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٦، ص١٩٢؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٥، ص١٦٤، ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص٩٢٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل ج٤، ص١٣٥؛ النويري: ج٢١، ص٣٩٠.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف ج٩، ص ١٧٩، الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٧، ص٢٤٦،٢٤٧.

وجدنا أن البعض كان يلجأ لتلك الحيلة للحفاظ على شكل الرأس أطول فترة ممكنة وبخاصة إذا علقت على أبواب المدن أو دار البعض بها زيادة في التنكيل.

من ذلك ما وجدنا من أن عبيد الله بن زياد أمر أن يقور رأس الحسين حتى ينصب في الرمح، فابتعد الناس عن هذا الأمر، فقام من بين الناس رجل يقال له طارق بن المبارك ووصفته الرواية بأنه ابن المشؤوم المذموم، فقور رأسه أي أخرج دماغه(١).

وبالنظر إلى طول المسافة بين العراق وبلاد الشام لا يستبعد أن يكون قد حفظت الرأس بطريقة معينة ولكن لم تكن بتلك الفظاظة والبشاعة التي ذكرتها الرواية السابقة؛ لأنها رأس الحسين، وحتى مع طول المسافة، والخلاف الحاصل بين العلماء في رأس الحسين، فالبعض يرى أنها ذهبت إلى يزيد في بلاد الشام(٢) والبعض ينكر هذا الأمر ويقول: أن الرأس ذهبت من الكوفة إلى المدينة ولم تذهب إلى الشام وقد تحدث العلماء(٣) في هذا الأمر وبينوه، وأيا ما كان الأمر فإن طول المسافة بين العراق والشام على فرض صحة من يقول هذا أو بين العراق والمدينة تجعل الرأس عرضة للتلف إذا لم يتم حفظها بطريقة معينة كغسلها وحشوها بالمسك والكافور، وإضافة المواد الطبية التي تحافظ عليها، أما مسألة إخراج الدماغ فيجب أن يتوقف العقل طويلاً أمامها قبل تصديقها خاصة وأن هذا الأمر لم يسعفنا به غير اليافعي.

---

(١) اليافعي: أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت: ٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط١، ١٤١٧ هـ –١٩٩٧ م، ص١٠٩.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ج٣، ص٢٦٠؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص٢٦٠؛ ابن حبان: السيرة النبوية ج٢، ص٥٦٠.

(٣) ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ/١٣٢٨م) رأس الحسين: تحقيق ودراسة: الدكتور السيد الجميلي، ص٢٠٦ـ ٢٠٧؛ ابن تيمية: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م، ج٨، ص١٤١، ١٤٢؛ ابن كثير البداية والنهاية ج١١، ص٥٥٩، ٥٦٠.

وهناك رواية عن الدولة العباسية وعن بعض الخارجين عليها نأخذ منها أن هذا الأمر كان يفعل قبل العباسيين، وقد وضحت تلك الطريقة بعد ذلك في رواية للطبري[١] تحدث فيها عن مقتل أحد المعارضين للدولة العباسية من الطالبين وهو يحيى بن عمر وإبانة رأسه وورود الرأس دار الوالي محمد بن عبد الله بن طاهر(٢)، وقد تغبر، فطلبوا من يقور اللحم، ويخرج الحدقة والغلصمة، فلم يوجد، وهرب الجزارون، وطلب ممن في السجن من الخرمية الذباحين من يفعل ذلك فلم يقدم عليه أحد، إلا رجل من عمال السجن الجديد، فإنه تولى إخراج دماغه وعينيه وقوره بيديه، وحشي بالصبر والمسك والكافور بعد أن غسل وصير في القطن وذكر أنهم رأوا بجنبيه ضربة بالسيف منكرة، ثم إن محمد بن عبد الله بن طاهر أمر بحمل رأسه إلى الخليفة العباسي المستعين (٢٤٨- ٢٥٢هـ/ ٨٦٢- ٨٦٦م) من غد اليوم الذي أتاه فيه.

ونستطيع القول: أن مثل تلك الأمور كانت شاذة ومنكرة لدى المسلمين ولو سلمنا جدلا بحصول بعض منها، فإنها حوادث فردية، بدليل الصعوبة التي حدثت في العثور على من يقوم بهذا الفعل، وحتى يوم أن وجدوا كان الرجل من أصحاب بابك الخرمي الذي ادعى الألوهية وأحدث القتل والمثلة في مذهبه إضافة إلى إظهاره الإسلام وإخفائه الكفر واستباحته كل ما حرم[٣].

والذي أراه في مسألة ما يمكن أن نسميه حفظ الرأس أنها كانت تفعل على قدر الحاجة والمصلحة، فيعمل على إصلاحها وتنظيفها، ثم طليها بالأدوية التي تعمل على ضمان بقائها كالصبر والكافور والصندل للحفاظ عليها أطول فترة ممكنة، ولأنها ستعلق ويجاب بها البلدان، أو أنها ستذهب إلى الخليفة أو الوالي وهو قريب منها ويأمر بعد ذلك بدفنها خاصة

(١) تاريخ الرسل والملوك ج٩، ص٢٦٩،٢٧٠؛ مسكويه: تجارب الأمم ج٤، ص ٣٢٩.

(٢) محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي كان شيخا فاضلا، وأديبا شاعرا، وهو أمير ابن أمير ابن أمير، ولي إمارة بغداد في أيام المتوكل، وكان يميل لأهل العلم والأدب، مات محمد بن عبد الله سنة ٢٥٣هـ، بسبب خراج في حلقه، ودفن في مقابر قريش (الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج٣ ص ٤٢١؛ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٢، ص٦٨- ٧٠).

(٣) ابن الجو زي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١١، ص٥٢، ٥٣.

إذا خيف من الثورة عليه، أو يقوم بحفظها في خزائن السلاح أو خزانة الرؤوس.

أما عن حفظ الرأس فقد كانت تحفظ بعض الوقت في بيوت من حملوها ثم توضع وتحفظ في خزانة السلاح والسبب على ما يبدو لأهمية تلك الرؤوس، ولأن دار السلاح آمن من غيرها ففيها أسلحة الدولة وعليها حراسة شديدة، من ذلك تلك الرواية التي وردت بشأن رأس الحسين وأنها مكثت في خزائن السلاح حتى ولي سليمان بن عبد الملك فأمر بالإتيان بالرأس فوجدها قد جفت وبقي منها عظم أبيض فطيبه وجعل عليه ثوبا أمر بدفنه في مقابر المسلمين [١].

وحتى إن كنا نستبعد أن يكون قد حدث هذا الأمر نتيجة لتضاربها مع الروايات القوية التي تقول بدفن الرأس وذهابه إلى المدينة، إلا أنها تعطينا إشارة إلى إمكانية حفظ بعض الرؤوس في خزائن السلاح.

وقد وردت عند ابن الجوزي [٢] حادثة تدل على هذا الأمر وهو أنه وجد في خراسان بعض تلك الرؤوس مجتمعة بل وجد في بعضها رقعة مشدودة بخيط فيها اسم صاحب الرأس وتاريخ تعيين القطع وأن هذه التواريخ كانت منذ بداية الدولة الأموية.

ونجد أن هناك إشارات تدل على هذا الأمر في عصر الدولة الأموية منها تلك الحادثة التي كان فيها عبد الملك بن عمير مع عبد الملك بن مروان بقصر الكوفة حين جيء برأس مصعب بن الزبير فوضعت بين يديه، فارتعد واهتز ابن عمير، فقيل له ما بك: فقلت: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين! كنت بهذا القصر بهذا الموضع مع عبيد الله بن زياد فرأيت رأس الحسين رضي الله عنه بين يديه، ثم كنت فيه مع المختار بن أبى عبيد فرأيت رأس عبيد الله بن زياد بين يديه، ثم كنت مع مصعب فيه فرأيت رأس المختار بين يديه، ثم رأيت رأس مصعب فيه بين يديك. فقام عبد الملك من مقامه ذلك، وأمر بهدم ذلك الطاق[٣] الذى كنا فيه[٤].

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٦٩، ص١٦١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥، ص١٠٧، ١٠٨.

(٢) المنتظم ج١٣، ص١٦٧، ١٦٨.

(٣) الطاق جمعه طاقات وأطواق، وهوما عطف وجعل كالقوس من الأبنية (أحمد مختار عبدالحميد: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج٢، ص١٤٢٤)

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص١٦٥؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢١، ص١٢٦، ابن=

هذه الحادثة تدل دلالة واضحة على أنه كان في داخل قصر الإمارة ومن ثم دار الخلافة مكان يؤتى فيه بتلك الرؤوس أو مكان لحفظ الرأس حتى رحيلها إلى مكان آخر، والدليل هو ما نطق به الخليفة بعد تشاؤمه مما حدث وأمره بهدم الطاق، وفي كتاب نثر الدر[١] تحدث فيه صاحبه عن تلك الحادثة ولكنه بدلا من ذكر الطاق ذكر أن الخليفة جلس في بهو والبهو هو المكان المتسع لاستقبال الضيوف أو المكان المقدم على البيت[٢] الشاهد هو أمر الخليفة بهدم البهو أو الطاق، ويبدو أنها كانت غرفة أو قبوًا داخل القصر مخصصًا لهذا الأمر، فهذا يعطي دلالة على وجود مكان تحفظ به الرؤوس، ويدل على أن الكثير من الخلفاء كانوا لا يرضون بتلك الفعلة، ولذلك يمحون كل أثر لها.

ويتضح في رواية عند البلاذري[٣] أن الانتقال بالرؤوس أو نستطيع أن نطلق عليها مواكب الرؤوس وجد في عهد الدولة الأموية فقد استطاع الأمويون القضاء على المهالبة، وإبانة رؤوسهم، بل وحملت من بلاد السند ووصلت إلى العراق واتجهت بعد العراق إلى الشام وبعد الشام إلى حلب، وفي آذانهم الرقاع بأسمائهم.

بل أكاد أجزم أن الأمر تطور بصورة كبيرة بعد الدولة الأموية فأصبحت هناك خزانة تسمى بخزانة الرؤوس [٤] يكتب فيها اسم صاحبها وتاريخ القطع، بل وبعض العبارات التي تدل على سبب الإبانة مثل عبارة هذا جزاء من يخون الإمام[٥]، ولكن كل تلك الأمور لم تكن بصورة كبيرة، بل إن الحاجة والسياسة والعصيان والخروج هي من دعت لمثل هذه الأمور.

=العماد الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العَكري، (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م). شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦ هـ -١٩٨٦م، ج٢، ص٤٢.

(١) الآبي: منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد (ت: ٤٢١هـ / ١٠٣٠م)، تحقيق: خالد عبد الله محفوظ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤م. ج٧، ص٢١٦.

(٢) أحمد مختار عبد الحميد: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج١، ص٢٥٧.

(٣) أنساب الأشراف ج٨، ص٣٣٦.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج١١، ص٢٨١؛ مسكويه: تجارب الأمم ج٥، ص ٢٨.

(٥) ابن الأثير: الكامل ج٦، ص٧٨٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية ج١٥، ص٦٨.

المبحث الرابع: الآثار المترتبة على القتل والإبانة:

لقد كان هناك العديد من الآثار السياسية والاجتماعية حول قضية إبانة الرؤوس فكان منها الايجابي الذي ثبت أركان الدولة الإسلامية، ومنها السلبي الذي كان معول هدم لها.

أولًا: الآثار السياسية.

١ـ طلب الثأر.

لقد ظهر من خلال تتبع موضوع القتل والإبانة بعض الآثار السياسية منها ذاك الأسلوب القاسي الذي زرع الأحقاد والضغائن وبخاصة لدى أولاد القادة الذين تم قتلهم.

فهذا ثابت بن عبد الله بن الزبير نظر إلى أهل الشام فشتمهم، فقال له أحد الناس: إنما تسبهم لأنهم قتلوا أباك [١] فعلى الرغم من معاملة عبد الملك بن مروان لثابت معاملة حسنة، ورده بعض أموال أبيه إليه[٢] فإنه لم ينس أن أهل الشام كانوا سببا لزوال دولة أبيه ومقتله.

وتجدر الإشارة إلى أن من الآثار التي خلفها القتل مسألة الثأر من الدولة، وبناء على ذلك ظهرت الثورات التي خرجت انتقاما لما حدث مع الحسين وآل بيته، وما فعله المختار الثقفي حين تجرد لقتلة الحسين فقضى على معظم من شارك في ذلك الأمر، فقال: ما من ديننا ترك قوم قتلوا الحسين يمشون أحياء في الدنيا آمنين [٣].

وقد يتحين البعض الفرص لطلب الثأر من الدولة وليس أدل على هذا الأمر ما حدث مع المهالبة فبعد خمودهم فترة من الزمن طالبوا بثأرهم ولم ينسوا أبدا ما تعرض له زعماؤهم من قتل وتشهير من قبل الدولة الأموية، فخرج أحد زعمائهم وهو سليمان بن حبيب بن المهلب على الأمويين سنة١٢٩هـ/٧٤٦م بالأهواز وبالرغم من هزيمته من قبل الدولة وهروبه إلى فارس[٤] فإن أطماعهم وثأرهم لم ينسوه ولم يستكينوا؛ فعقب ظهور العباسيين كاتب

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ج٧، ص١٣٤؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٤، ص١١٠.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج١١، ص١٣٠.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٦، ص٤٠٥؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٦، ص ٥٧؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج٢، ص١٧٨.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف ج٢، ص٦٤؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج٢، ص٣٤١

سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب وزير العباسيين أبا سلمة الخلال يعلمه بانضمام المهالبة للدعوة الجديدة، وحتى يكون الكلام عمليا قام سفيان بإعلان الثورة في البصرة، واستولى عليها من عامل الأمويين سنة(١٣٢هـ/٧٤٩م)[١]، وإذا كان قد فعل هذا بغرض السلطة إلا أننا لا نستطيع أن نغفل جانب الثأر من المهالبة قِبل الدولة الأموية، كما لا نغفل أن سقوط البصرة من يد الأمويين يعد عاملا من عوامل سقوط الدولة لصالح العباسيين، وبذلك نستطيع أن نقول أن هذا الأمر كان من أسباب زوال الدولة الأموية.

٢ ـ الخلافات بين أفراد البيت الحاكم:

أدى موضوع القتل إلى الخلافات بين البيت الحاكم من ذلك ما وجدناه من تعاطف وتعاون داخل البيت الحاكم في الكوفة، فعندما حبس آل الحسين من قبل ابن زياد، وأرسل إلى يزيد بالخبر، فبينما هم في الحبس إذ سقط عليهم حجر فيه كتاب مربوط وفيه: "إن البريد سار بأمركم إلى يزيد فيصل يوم كذا ويعود يوم كذا، فإن سمعتم التكبير فأيقنوا بالقتل، وإن لم تسمعوا تكبيرا فهو الأمان فلما كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجر قد ألقي وفيه كتاب يقول فيه: أوصوا واعهدوا فقد قارب وصول البريد" [٢]، وإن صح هذا الخبر فإنه يظهر لنا مدى الأثر والتعاطف الذي حدث داخل البيت الحاكم في الكوفة.

وقد ظهر هذا الأمر واضحا جليا حين اعترض مروان بن محمد على قتل الوليد وصلب رأسه، وما حدث من ثورات وشقاقات أودت في النهاية إلى سقوط الدولة بأكملها، وفي الحقيقة وجدت أن العديد من المصادر قد تحدثت على أن مروان بن محمد نبش قبر يزيد بن الوليد بن عبد الملك وأخرجه منه وصلبه[٣]، نكاية له.

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ج٤، ص١٧٤ـ ١٧٥؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٧، ص٤١٩؛ عبد المنعم عبد الحميد سلطان: آل المهلب في المشرق الإسلامي ودورهم السياسي والحربي حتى سقوط الدولة الأموية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص١٠٥، ١٠٦.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج٣، ص ١٨٨.

(٣) ابن قتيبة: المعارف، ص٣٦٧؛ البلاذري: أنساب الاشراف ج٩، ص٢٠٥.

وحقيقة فإن هذا الأمر مدعاة للتفكر وإعمال العقل، فالدولة بعد تولية مروان مشتعلة في كل مكان، أكان يريد لها أن تزداد اشتعالا!! فيخرج جثة يزيد فيصلبها مع علمه بنكارة هذا الأمر وحرمته.

والذي أميل إليه هو أنه لا دخل لمروان بن محمد بهذا الأمر، ووقت الفتن والثورات يتشفى للأسف المبغضون من بعضهم، حتى إن الكثير لا يراعي حرمةً للميت وقد يكون هذا ما حدث، وهو ما ذكره الطبري وابن كثير(١) حين ذكرا أن موالي الوليد بن يزيد نبشوا قبر يزيد بن الوليد وصلبوه على باب الجابية بدمشق.

٣ ـ العنف اللفظي والجسدي.

وفي نفس الصدد يعد من الآثار السياسية العنف سواء كان لفظيًا أو جسديًا والذي لحق باتباع من قتلوا وأبينت رؤوسهم.

فاللفظي: مثل ما حدث مع أسماء بنت أبي بكر ﵂ حين أراد الحجاج أن يحقر من قدرها بعد قتل ولدها عبد الله وصلبه، فأرسل إليها، فأبت أن تأتيه، فأعاد عليها الرسول: لتأتيني أو لأبعثن إليك من يسحبك بقرونك، فأبت وقالت: والله لا آتيك حتى تبعث إلي من يسحبني بقروني،...فذهب حتى دخل عليها، فقال: كيف رأيتني صنعت بعدو الله؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه، وأفسد عليك آخرتك، بلغني أنك تقول له: يا ابن ذات النطاقين ـ وكأن الحجاج يعير ابن الزبير بهذا الأمر ـ أنا، والله ذات النطاقين، أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله ﷺ، وطعام أبي بكر من الدواب، وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه(٢).

والجسدي: تمثل في القبض على كل من تسول له نفسه مساعدة من خرج على النظام والدولة، فهذا يحيى بن زيد حين نزل على خراسان بلغ يوسف بن عمر والي العراق خبره

(١) تاريخ الرسل والملوك ج٧، ص٣١١؛ البداية والنهاية ج١٣، ص٢٠٧.

(٢) مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ/٨٧٥م) الجامع الصحيح= صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج٤، ص١٩٧١.

فكتب إلى نصر بن سيار عامله على خراسان أن خذ الحريش بن عمرو بن داود حتى يدل على مكان يحيى، فكتب نصر إلى عامله على بلخ في ذلك، فقبض على الحريش وأنكر أن يعرف مكانه، فضربه وعذبه حتى كاد أن يهلك فلما رأى ذلك ابنه قريش بن الحريش دل على مكان يحيى ونجى أباه من العنف والقسوة التي تعرض لها(١).

ثانيًا: الآثار الاجتماعية.

لقد أدت سياسة القتل والإبانة إلى ظهور آثار اجتماعية عملت على التأثير في المجتمع الإسلامي بشكل كبير منها:

١ ـ التأثير على العامة:

لقد كان هناك جانب اجتماعي له أثر إيجابي في القضاء على الخارجين وأهل البدع والأهواء والضلال وعلى رأسهم الخوارج ومطالبة العامة بهذا الأمر فهذا المهلب بن أبي صفرة القائد الأموي الفذ الذي ظل يحارب الخوارج الأزا رقة مدة طويلة حتى استطاع تحجيمهم والقضاء عليهم بعد أن أذاقوا الدولة الأموية العديد من الهزائم، فترى المهلب يرسل برؤوس الأزارقة إلى العاصمة دمشق وتعلق الرؤوس ويجتمع العامة ينظرون إليها فجاء أبو أمامة الباهلي أحد صحابة رسول اللهﷺ، فرآها منصوبة فقال: شر قتلى تحت السماء هؤلاء ثلاثا طوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه(٢).

ويلاحظ أن هذا الكلام من أبي أمامة له تأثير واضح على العامة وخاصة أن هذا الذي سمعه كان من رسول الله ﷺ، وكان الغرض من تعليق رؤوس الخوارج هو إضعاف شوكة تابعيهم خاصة أن هناك كثيرا ممن تأثر بهم وانضم إلى صفوفهم في أحرج اللحظات فكان لا

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ج٣، ص٢٦١؛ الأصفهاني: . مقاتل الطالبين: تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت د. ت، ص١٤٧؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٤، ص٤٠٨.

(٢) الترمذي: سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ومن سورة آل عمران، ج٥، ص١٧٦. ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢٤، ص٥٢؛ الرافعي القزويني: أبو القاسم الرافعي عبدالكريم بن محمد بن عبد الكريم(ت: ٦٢٣هـ/١٢٢٦م)، التدوين في أخبار قزوين، تحقيق: عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط: ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، ج٢، ص١٨٨.

بد من الوقوف في وجه كل هذا.

وهناك حادثة أخرى توكد على هذا الأمر يرويها لنا أحد رواة الحديث سعيد بن جمهان حين قال: كنا نقاتل الخوارج وفينا عبد الله بن أبي أوفى[١] وقد لحق غلام له بالخوارج، وهم من ذلك الشط، ونحن من ذا الشط، فناديناه أبا فيروز أبا فيروز، ويحك هذا مولاك عبد الله بن أبي أوفى؟ قال: نعم الرجل هو لو هاجر. قال: ما يقول عدو الله، قال: قلنا: يقول: نعم الرجل لو هاجر. قال: فقال: أهجرة بعد هجرتي مع رسول الله ﷺ ؟ ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «طوبى لمن قتلهم وقتلوه»[٢].

وبذلك نرى أن من الآثار لإبانة الرؤوس التأثير على العامة من قبل أهل الحق، فالخوارج في نظر العامة خارجون على الدولة مخالفون لها في المنهج وأوصى النبيﷺ بقتلهم واستئصال شأفتهم، واستمر الصحابة والتابعون رضوان الله عليهم على إصدار الفتاوي التي تؤكد على مروقهم وخروجهم من الدين.

٢ ـ تنوع موقف العامة بين الابتهاج والغضب.

تنوع الموقف الشعبي من القتل والإبانة؛ فنجد أن رأس الحسين أثار موجة من الغضب العارمة لدي الجميع، من ذلك لما دخل عبيد الله بن زياد القصر ودخل الناس، نودي: الصلاة جامعة! فاجتمع الناس في المسجد الأعظم، فصعد المنبر ابن زياد فقال: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه، وقتل الكذاب ابن

(١) عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي من أصحاب الشجرة، غزا مع النبيﷺ ست غزوات، وأصابته يوم حنين ضربة في ذراعه، وروي عن رسول الله عدة أحاديث، ولم يزل بالمدينة حتى قبض النبيﷺ فتحول إلى الكوفة فنزلها، وابتنى بها دارا، وكان قد ذهب بصره، وتوفي بالكوفة سنة ٨٦هـ.(البغوي: أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان بن سابور (ت:٣١٧هـ/ ٩٢٩م) معجم الصحابة، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان، الكويت، ط١، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م، ج٤، ص١٣٠، ١٣١؛ أبو نعيم: معرفة الصحابة، ج٣، ص١٥٩٢).

(٢) ابن حنبل: المسند، أول مسند الكوفيين، رقم الحديث ١٩١٤٩، ج٣١، ص٤٨٦.

الكذاب، الحسين بن علي وشيعته، فلم يفرغ ابن زياد من مقالته حتى وثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدي– وكان من شيعة علي كرم الله وجهه، وكانت عينه اليسرى ذهبت يوم الجمل مع علي، فلما كان يوم صفين ضرب على رأسه ضربة، وأخرى على حاجبه، فذهبت عينه الأخرى، فكان لا يكاد يفارق المسجد الأعظم يصلي فيه إلى الليل ثم ينصرف– قال: فلما سمع مقالة ابن زياد، قال: يا ابن مرجانة، إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذى ولاك وأبوه، يا بن مرجانة، أتقتلون أبناء النبيين، وتكلمون بكلام الصديقين! (١).

فمن ذلك نفهم أن ابن زياد خشى من هياج العامة في الكوفة وانقلابهم عليه وخاصة بعد تلك قتله للحسين رضي الله عنه ومن معه.

ومن جانب آخر نجد أن هناك تعاطفا كبيرا من الناس لمقتل الحسين وآل بيته فقد هموا بقتل على الأصغر بن الحسين إلا أن رجلا منهم أخفاه وغيبه وأكرم نزله واختصه وجعل يبكي كلما دخل وخرج لما حدث، حتى قال على بن الحسين: إن يكن عند أحد من الناس خير ووفاء فعند هذا، إلى أن نادى منادي ابن زياد: ألا من وجد علي بن حسين فليأت به؛ فقد جعلنا فيه ثلاثمائة درهم، فخاف الرجل على نفسه الهلكة، فدخل والله على وهو يبكي، وجعل يربط يدي إلى عنقي فأخرجني والله إليهم مربوطا حتى دفعني إليهم وأخذ ثلاثمائة درهم(٢).

كما أن ابن زياد حين أراد إخراجهم من الكوفة إلى مقر الخلافة الأموية بالشام امتلأت طرقات الكوفة بالناس يبكون على ما حدث ويؤنبون أنفسهم لتخاذلهم عن نصرة الحسين لدرجة أن علي بن الحسين قال هؤلاء قتلونا ويبكون علينا(٣).

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٥، ص٤٥٨. ٤٥٩؛ ابن الأثير: الكامل ج٣، ص١٨٧؛ النويري: نهاية الأرب ج٢٠، ص ٤٦٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص٢١٢؛ مصعب الزبيري: نسب قريش ص٥٨؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس، وآخرين، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٤م، ج١٧، ص٢٣١ ـ٢٣٢.

(٣) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج٨، ص١٥٦.

بل لك أيها القارئ الكريم أن تنظر فتعجب لندم بعض من أقدموا على قتل الحسين ففي حديث بين عبيد الله بن زياد وبين عمر بن سعد سأل عُبيد الله بن زياد الأخير بعد قتله الحسين: يا عمر! أين الكتاب الذي كتبتُ به إليك في قتل الحسين؟ قال: تُرك والله يُقرأ على أهل قريش اعتذارًا إليهم بالمدينة، أمّا والله يا زياد لقد نصحتُك في حسين نصيحةً لو نصحتُها أبي سعد بن أبي وّقاص كنت قد أدّيت حقه، فيعقب عثمان بن زياد أخو عبيد الله: صدق والله، لوَددتُ أنه ليس من بني زياد رجلٌ إلا وفي أنفه خِزامةٌ[1] إلى يوم القيامة وأن حسينًا لم يُقتل وينسب إلينا قتله؛ فلم ينكر عليه عبيد الله هذا الأمر[2].

وعلى النقيض تجد أن بعض أهل الشام قد رحبوا بهذا الأمر ولم يجد قتل الحسين ولا رأسه ولا أهله هذا التعاطف الذي كان موجودا بالكوفة، وعلى ما يبدو فإن الدعاية الكبيرة التي فعلها بعض رجال البيت الحاكم أثرت تأثيرا كبيرا على الناس لدرجة أن أحد الناس عندما رأهم أقبل عليهم وقال: "الحمد لله الذي قتلكم و أهلككم ، و أراح الرجال من سطوتكم و أمكن أمير المؤمنين منكم ، فقال له الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) : يا شيخ هل قرأت القرآن ؟ قال: نعم قرأته، قال: هل قرأت هذه الآية﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾ [الشورى: ٢٣]فقال الشيخ: قد قرأت ذلك، فقال: علي بن الحسين فنحن القربى يا شيخ، وهل قرأت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا ٣٣ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] فقال الشيخ: قد قرأت ذلك، فقال: نحن أهل البيت الذي خُصصنا بآية الطهارة، فبقى الشيخ ساكنًا نادماً على ما تكلم به، ثم رفع رأسه الى السماء و قال: اللهم إني تائب إليك مما تكلمته و أبرأ إليك من عدو محمد و آل محمد من الجن و الإنس"[3]

(١) الخزامة: هي حلقة من شعر تجعل في أنف البعير ليقاد به(ابن منظور: لسان العرب، مادة خزم، ج١٢، ص١٧٤.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل ج٥، ص٤٦٧؛ ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص١٩٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٠، ص٤٧٢.

(٣) ابن أعثم الكوفي: ابي محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت/٣٢٠هـ/ ٩٣٢م) الفتوح، تحقيق: علي=

وإذا كان هذا الرجل قد تأثر بكلام علي بن الحسين عن طريق الحوار والنقاش، فإن غيره لم يتأثر وظلت الأمور على حالها من البغض عند بعض أهل الشام يدل على ذلك: أنه أثناء قدومهم إلى الحج وآدائهم الشعائر بمنى، كانوا يؤذون على بن الحسين بن علي بن أبي طالب في مكانه ومسكنه لدرجة أنه تحول من منى إلى مكان آخر هو قرن الثعالب(١)، وحتى إن كان الإيذاء لم تسعفنا به المصادر ولا بطبيعته، إلا أن علي بن الحسين آثر السلامة والابتعاد، وهذا يدل على أن الدعاية الإعلامية كان لها تأثير كبير على قلوب بعض الناس.

كما تبين لنا أهمية منصب الخلافة لدي الناس ومدي احترام هذا المنصب عند العامة فحينما قتل الخليفة الوليد بن يزيد بعث برأسه إلى الخليفة الجديد يزيد بن الوليد بن عبد الملك وأمر بنصب الرأس، فقال له أحد مواليه إنما تنصب رءوس الخوارج، وهذا ابن عمك، وخليفة، ولا آمن إن نصبته أن ترق له قلوب الناس، ويغضب له أهل بيته لكنه لم يسمع لهذا الأمر وأصر على الطواف بالرأس ونصبه(٢).

ويفهم من هذا أن العامة قد يثورون نتيجة لتعليق الرؤوس ولأن الخلافة كانت رمزا من رموز المسلمين ولكن يبدو أن الدعاية السيئة المبالغ فيها(٣) التي فعلها يزيد بن الوليد بن عبد الملك ضد ابن عمه الوليد بن يزيد قد أثرت في العامة، ولذلك لم يقوموا بأي إجراء ضد

=شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، ج٥، ص١٣٠.

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى، ج٥، ص٢١٩.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ج٩، ص١٨١م؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٧، ص٢٥٠، ٢٥١.

(٣) لقد استطاع الخليفة يزيد بن الوليد بن عبد الملك أن يستغل حالة الاستهتار التي كانت عند الوليد بن يزيد بن عبد الملك وميله إلى اللهو واللعب، فاستغل هذا الأمر أسوا استغلال واتهمه اتهامات عديده وأوغر صدور الناس عليه ليعطي لنفسه مبررا للخلاص منه، وقد أجاد وأفاد= =الأستاذ الدكتور عبد الشافي عبد اللطيف في الحديث عن هذا الأمر ونقده بصورة علمية رصينة، وللمزيد حول هذا الأمر ينظر كتابه (العالم الإسلامي في العصر الأموي، ص ١٧٣-١٧٩).

ما فعله يزيد من نصب رأس ابن عمه والطواف به في مدينة دمشق، ولكنها كانت سببًا من أسباب انفراط عقد الدولة الأموية.

٣ ـ تغير المكانة الاجتماعية.

لقد كان للقتل وإبانة الرؤوس أثر كبير في إحداث الكثير من التغيرات التي حدثت في المجتمع، فنجد أن حملة الرؤوس للخلفاء والولاة أصبحوا على مقربة منهم، بل إنهم أصبحوا أصحاب منح وعطايا كبيرة بل وعطاء ثابت تفرضه الدولة لهم، كذلك الذباحون وبعض السجناء طالهم نفس الأمر، ووجدنا أن القبائل قليلة العطاء تحول حالها بعد قتل الخارجين إلى الولاء والتبعية الكاملة والتيسير والزيادة في العطاء والخير الوفير، وعلى العكس من ذلك فقد انخفضت المكانة الاجتماعية لكبار قوم وحط من قدرهم وقدر أسرهم، بسبب عنادهم وخروجهم عن الطاعة.

الخاتمة:

بعد هذا الطواف الذي دار حول موضوع القتل والإبانة بين الحاجة وتدابير السياسة في تلك الفترة موضع الدراسة يمكن الوصول إلى عدد من النتائج، لعل من أهمها.

١ـ أن الاقتصار على إبراز الجوانب المشرقة وتضعيفها في التاريخ الإسلامي وتصوير مجتمع المسلمين على أنه مجتمع ملائكي معصوم من الخطأ وتغييب أو إسقاط أحداث الضعف والانتقام والانكسار والسقوط التي قد تمثل النقاط السلبية في مسيرة الأمة خطأ تاريخي فادح خاصة، وأن تلك الهفوات لا تكاد تذكر أمام الإنجازات العظيمة والعطاء الحضاري لتاريخ الإسلام والمسلمين.

٢ـ تبين من خلال الدراسة أن مسألة إبانة الرؤوس يعود تاريخها إلى الأمم السابقة على الإسلام وأن المسلمين ما فعلوا هذا الأمر إلا مضطرين إليه، أو في أضيق الحدود، أو نكاية في عدوهم.

٣ـ سيطر البعد العسكري والسياسي على معظم الأسباب التي أدت إلى القتل والإبانة والتي كانت الدولة تُدفع إليه للحفاظ على وحدتها واستقرارها.

٤ـ أدى موضوع القتل وإبانة الرؤوس إلى نتائج إيجابية وسلبية فمن الناحية الإيجابية أرهب هذا الأمر أعداء الإسلام والمسلمين وتحقق بسبب ذلك انتصارات عديدة للمسلمين ضد أعدائهم، وحافظ المسلمون على وحدة عقيدتهم الدينية بوقوفهم ضد التطرف الفكري والعسكري الذي ظهر من خلال حركات الخوارج؛ أما من الناحية السلبية فقد كانت إيذانا بضعف دولة عظيمة كالدولة الأموية، وأسهم هذا الأمر في بروز روح الثأر منها، بل وأوجد فجوة نفسية بينها وبين الكثير من رعاياها أدى إلى التعجيل بسقوطها في نهاية المطاف.

٥ـ إن ما وجدناه من القتل بين المعارضة والسلطة الحاكمة وخاصة في الدولة الأموية كان ذلك بسبب بعد روح التفاهم بين تلك العناصر، وكانوا في أغلب الأحيان يلجؤون إلى القوة كوسيلة لإنهاء الخلاف، ولا مبالغة في القول بأن الخوارج بصبرهم وشدتهم في الحرب كانوا سببا من أسباب لجوء الدولة إلى مثل هؤلاء القادة الغلاظ كعبيد الله بن زياد، والحجاج بن يوسف.

٦ـ نستطيع القول بأن موضوع إبانة الرؤوس خلال فترة البحث لم يصل إلى حد

الظاهرة وأن ما حدث من انتهاكات وممارسات لم يكن طابعا غالبًا لدى المسلمين، وإنما فرضته الظروف التاريخية المختلفة، ولذلك من الخطأ أن نبعدها عن سياقاتها التاريخية المختلفة.

٧ـ إن ما حدث من القتل للأعداء أو حتى المخالفين لا يقلل أبدا من حضارة المسلمين أو تاريخهم ودورهم الباهر في خدمة الإسلام بل والإنسانية، وما حدث من بعض التجاوزات من بعض القادة الذين يتسمون بالغلظة إنما هي ظروف سياسية، وإذا قارنا بين ما فعله بعض المسلمين في حروبهم أو في خصوماتهم السياسية، أو مع الخارجين، وما فعله أعداء الإسلام في المسلمين في حروبهم وسلمهم، ستجد أنه لا وجه للمقارنة بينهما وستجد فيما فعله غير المسلمين معنى التطرف الحقيقي.

وأخيرًا: أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجه الكريم، وأن ينفع به طلاب العلم والباحثين، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وصلى الله على معلم الناس الخير.

المصادر والمراجع [1]:

أولًا: المصادر:

الآبي: منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد (ت: ٤٢١هـ / ١٠٣٠م).

١ـ نثر الدر في المحاضرات، تحقيق: خالد عبد الله محفوظ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤م.

ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م)

٢ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤ م.

٣ـ الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان . ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

الأصفهاني: أبو الفرج على بن الحسين (ت: ٣٥٦هـ/٩٦٧م)

٤ـ الأغاني، دار الفكر، بيروت، ط:٢، د.ت.

٥ـ مقاتل الطالبين: تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت د. ت

ابن أعثم الكوفي: أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي(ت:٣٢٠هـ/ ٩٣٢م):

٦ـ الفتوح، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت:٢٥٦هـ/ ٨٧٠م)

٧ـ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧م

البغوي: أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن سابور(ت:٣١٧هـ/ ٩٢٩م).

٨ـ معجم الصحابة، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان، الكويت،

(١) رتبت أسماء مؤلفي المصادر والمراجع هجائيًا، وبدون اعتبار للملحقات (أل، أب، ابن)، وإذا وجد للمؤلف أكثر من مصدر أو مرجع يكون ترتيبه نفس الترتيب السابق .

ط١، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م.
أبو بكر المالكي(ت:٤٥٣هـ/ ١٠٦١م):
٩ـ رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير البكوش، راجعه: محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م.
البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، (ت: ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)
١٠ـ أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط١ ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
١١ـ فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر: ١٩٨٨ م.
البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، (ت: ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م):
١٢ـ السنن الكبرى: تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م.
الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ/٨٩٢م)
١٣ـ سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٩٩٨م.
ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي(ت: ٧٢٨هـ/١٣٢٨م)
١٤ـ رأس الحسين: تحقيق ودراسة: الدكتور السيد الجميلي، د.ت.
١٥ـ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م.
الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت: ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م).
١٦ـ البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ.
ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)
١٧ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر

عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م)

١٨- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ط٤، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ م.

الحاكم: محمد بن عبد الله النيسابوري (ت:٤٠٥هـ/ ١٠١٤م).

١٩- المستدرك على الصحيح، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)

٢٠- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٢١- التلخيص الحبير: تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، مؤسسة قرطبة، مصر، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٢٢- تهذيب التهذيب، دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ.

٢٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد القرطبي الظاهري الاندلسي، (ت:٤٥٦هـ/١٠٦٤م).

٢٤- جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله المصري (ت: ٢٥٨هـ/ ٨٧١م)

٢٥- فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد الحجيري، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

ابن حمدون: محمد بن الحسن بن محمد، بهاء الدين البغدادي (ت: ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م).

٢٦- التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ

الحميري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت:٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م)
٢٧ـ الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، طبع على مطابع دار السراج، ط:٢، ١٩٨٠م.
ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني (ت: ٢٤١هـ/ ٨٥٥م):
٢٨ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، وآخرين إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
أبو حيان التوحيدي: علي بن محمد بن العباس، (ت نحو ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م).
٢٩ـ البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي،(ت: ٤٦٣هـ/١٠٧١م).
٣٠ـ تاريخ بغداد، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م.
ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، الحضرمي الإشبيلي (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م).
٣١ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العجم والعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.
ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد الإربلي (ت: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م).
٣٢ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت،١٩٩٤م.
خليفة بن خياط: أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني البصري (ت: ٢٤٠هـ/٨٥٤م):
٣٣ـ تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ.
الدارقطني: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي (ت: ٣٨٥هـ/٩٩٥م)
٣٤ـ المؤتلف والمختلف، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي،

بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

الدينوري: أبو حنيفة أحمد بن داود، (ت: ٢٨٢هـ /٨٩٥م)

٣٥- الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، راجعه: الدكتور جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة، ط١، ١٩٦٠م.

الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، (ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م).

٣٦- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

٣٧- سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

الرافعي القزويني: أبو القاسم الرافعي عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، (ت: ٦٢٣هـ/١٢٢٦م)،

٣٨- التدوين في أخبار قزوين، تحقيق: عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط: ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

سبط بن الجوزي: شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي (ت: ٦٥٤ هـ/١٢٥٦م)

٣٩- مرأة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد رضوان عرقسوسي، دار الرسالة العالمية، دمشق - سوريا، ط١، ١٤٣٤هـ -٢٠١٣ م.

السرخسي: محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت: ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م)

٤٠- شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني، تحقيق: محمد حسن محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية: بيروت: ط١، : ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م.

ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري (ت :٢٣٠هـ / ٨٤٥م).

٤١- الطبقات الكبرى: الجزء المتمم لطبقات ابن سعد [الطبقة الخامسة في من قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهم أحداث الأسنان] تحقيق: محمد بن صامل السلمي، مكتبة الصديق، الطائف، ط١، ١٤١٤ هـ -١٩٩٣م.

٤٢- الطبقات الكبرى: تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م

السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت:٩١١هـ/١٥٠٦م)
٤٣- تاريخ الخلفاء تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
ابن أبي شيبة: أبو بكر، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان (ت: ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م).
٤٤- المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩/ ١٩٩٠م.
الصحاري: أبو المنذر سلمة بن مسلم (ت: ٥١١هـ/ ١١١٧م)
٤٥- الأنساب، تحقيق: محمد إحسان النص، طبعة وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط٤، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت:٧٦٤هـ/١٣٦٣م).
٤٦- الوافي بالوفيات تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت،١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم (ت:٣٦٠هـ/ ٩٧١م)
٤٧- المعجم الكبير تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، العراق، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت: ٣١٠هـ / ٩٢٢م)
٤٨- تاريخ الرسل والملوك تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٤، د. ت.
ابن طيفور: أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت: ٢٨٠هـ/٨٩٣م)
٤٩- بلاغات النساء، صححه وشرحه: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، ١٣٢٦ هـ -١٩٠٨م.
ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي (ت: ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)
٥٠- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت،

ط١، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م.

ابن عبد ربه: أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد الأندلسي (ت: ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م)

٥١- العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

ابن عذاري المراكشي: أبو عبد الله محمد بن محمد (ت: ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م)

٥٢- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: تحقيق ومراجعة: ج. س. كولانِ، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان ط٣، ١٩٨٣م.

ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، (ت: ٥٧١هـ/ ١١٧٥م).

٥٣- تاريخ دمشق: تحقيق/ عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عام النشر: ١٤١٥هـ -١٩٩٥م.

ابن العماد الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد العَكري (ت :١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م).

٥٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

العمراني: أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم اليمني الشافعي (ت: ٥٥٨هـ/١١٦٣م)

٥٥- البيان في مذهب الإمام الشافعي: تحقيق: قاسم محمد النوري، دار المنهاج - جدة، ط١، ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠م.

ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم الدينوري (ت: ٢٧٦هـ/٨٨٩م).

٥٦- الإمامة والسياسة: تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

ابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد الحنبلي، (ت: ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣مـ)

٥٧- المغني، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م

٥٨- المعارف: تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م.

القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت: ٨٢١هـ/ ١٤١٩م).

٥٩- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبنانين، بيروت ط٢، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م.

ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)
٦٠ـ البداية والنهاية، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٨هـ /١٩٩٧م
الكلاعي: أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الحميري الأندلسي، (ت: ٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م)
٦١ـ الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والثلاثة الخلفاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ/٨٨٦م)
٦٢ـ سنن ابن ماجة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي، (ت:٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)
٦٣ـ الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
أبو المحاسن يوسف الملطي: يوسف بن موسى بن محمد، أبو المحاسن (ت: ٨٠٣هـ/ ١٤٠١م)
٦٤ـ المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة، مكتبة سعد الدين دمشق، د.ط، ١٣٦٣هـ.
المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، (ت:٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)
٦٥ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة، قم ،١٤٠٩هـ .
مسكويه: أبو علي احمد بن محمد بن يعقوب، (ت:٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)
٦٦ـ تجارب الأمم: تحقيق: أبو القاسم إمامي، دار سروش، طهران، ط٢، ٢٠٠٠م.
مصعب الزبيري: مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير (ت: ٢٣٦هـ/٨٥٠م)
٦٧ـ نسب قريش تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، د.ت
المقريزي: تقي الدين أحمد بن على (ت:٨٤٥هـ/ ١٤٤٠م)

٦٨ـ المقفى الكبير تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٧ هـ -٢٠٠٦ م.
مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت:٢٦١هـ/٨٧٥م).
٦٩ـ الجامع الصحيح= صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت
ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري (ت: ٧١١هـ/١٣١١م)
٧٠ـ لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.
٧١ـ مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روحية النحاس، وآخرين، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٤م.
النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (ت: ٣٠٣هـ/ ٩١٥م)
٧٢ـ السنن الكبرى: تحقيق وتخريج: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١، ١٤٢١ هـ -٢٠٠١ م.
أبو نعيم: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ/١٠٣٨م)
٧٣ـ معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد القرشي (ت: ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م).
٧٤ـ نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١ ١٤٢٣هـ.
ابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت: ٢١٣هـ/٨٢٨م)
٧٥ـ السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ -١٩٥٥م.
أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل بن مهران (ت: نحو ٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م)
٧٦ـ الأوائل، دار البشير، طنطا، ط١، ١٤٠٨ هـ.
الواقدي: محمد بن عمر بن واقد السهمي، المدني، أبو عبد الله، (ت: ٢٠٧هـ/ ٨٢٣م).

٧٧ـ فتوح الشام(منسوب إليه)، دار الكتب العلمية ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.
٧٨ـ المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م
اليافعي: أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت: ٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م).
٧٩ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط١، ١٤١٧ هـ –١٩٩٧م.
ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)
٨٠ـ معجم البلدان دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
اليعقوبي: أحمد بن إسحاق أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، (ت: بعد ٢٨٤هـ /٨٩٧م)
٨١ـ تاريخ اليعقوبي، دار صادر ـ بيروت، د.ت.
ثانيًا: المراجع:
أحمد مختار عبد الحميد:
٨٢ـ معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب ط١، ١٤٢٩ هـ –٢٠٠٨ م.
أسامة بن سعيد القحطاني وآخرون:
٨٣ـ موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٣ هـ –٢٠١٢ م.
الزبيدي: السيد محمد مرتضي الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ /١٧٩٠م).
٨٤ـ تاج العروس من جواهر القاموس"، تحقيق: على هلالي، مطبعة حكومة الكويت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
الزركلي: خيرالدين بن محمود بن محمد بن على بن فارس الدمشقي (ت: ١٣٩٦/١٩٧٦م).
٨٥ـ الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢ م.
السيد عبد العزيز سالم:

٨٦ـ تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية،١٩٩٩م.

شكري فيصل:

٨٧ـ حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول دراسة تمهيدية في القرن الأول، مطابع دار الكتاب العربي، مصر، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.

عبد الشافي محمد عبد اللطيف:

٨٨ـ العالم الإسلامي في العصر الأموي(٤١ـ ١٣٢هـ/ ٦٦١ـ ٧٥٠م) دراسة سياسية، دار السلام للطباعة والنشر، ط١، سنة ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م،

عبد المنعم عبد الحميد سلطان:

٨٩ـ آل المهلب في المشرق الإسلامي ودورهم السياسي والحربي حتى سقوط الدولة الأموية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٠م.

عمر رضا كحالة:

٩٠ـ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م.

محمد سهيل طقوش:

٩١ـ تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، دار النفائس، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

مهدي رزق الله أحمد:

٩٢ـ السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة تحليلية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

ياسين سويد:

٩٣ـ معارك خالد بن الوليد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٩م.

يحي شامي:

٩٤ـ موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

ثالثًا: المراجع المترجمة:

كارل بروكلمان:

٩٥ـ تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥ ،١٩٦٨م.

وِل ديورَانت = ويليام جيمس ديورَانت (ت: ١٩٨١م)

٩٦ـ قصة الحضارة، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت، لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

يوليوس فلهوزن:

٩٧ـ تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة: محمد عبد الهادي أبوريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢، ١٩٦٨م.